جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الاعتداد بالنفس في شعر عليّ بن المُقَرَّبْ العيُونيّ
(المحتوى والفن)

إعداد
د/ محمد شكري المتولي المتولي
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية في المنصورة

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الاعتداد بالنفس في شعر عليّ بن المُقَرَّبْ العُيُونيّ (المحتوى والفن)

محمد شكري المتولي المتولي
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية في المنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: mohammedshokrey.32@azhar.edu.eg

الملخص:

يعد الفخر أحد أهم أغراض الشعر العربي، التي صال الشعراء في ميدانها وجالوا، حيث يعتد الشاعر بخلال نفسه وقومه، من شجاعة وقوة وفصاحة وكرم وشهامة وقهر للأعداء وغيرها، بما يتوافق مع عزة العربي وأنفته، لقد عاش ابن المقرب حياة لا قرار فيها ولا استقرار، حيث خرج من بلده طريدًا بعد الاستيلاء على ماله وضياعه وحرمانه من إمارته وهو الأمير ابن الأمير، فملأ الحزن جوانب نفسه، وسيطر القلق عليه، ومن ثم جرى الشعر على لسانه كاشفًا عن قيمته ومكانته، وقدرته على مواجهة الخطوب والخصوم، والتغلب على العقبات والصعوبات، فحاولت من خلال هذا البحث كشف تلك الظاهرة في شعره، والوقوف معها مستنطقًا النصوص بما يكشف عن بروز تلك الظاهرة وأسرارها الجمالية والفنية، وقد اعتمدت في تفسير النصوص على آليتي الوصف والتحليل، عن طريق وصف الظاهرة ثم تحليلها، بما يميط اللثام عن جمالياتها من حيث المحتوى والفن، كما أفدت من المنهج النفسي في تفسير بعض الظواهر، وأخيرًا فلا يسعني إلا أن أقر بأن هذا العمل عبارة عن محاولة بحثية يسيرة، ولا أدعي أنه قد غطى كل ما يتعلق بموضوع البحث، كونه عملًا بشريًا يشوبه التقصير ويعتريه النقص مهما حاول صاحبه الإتقان والضبط، لكن أتمنى أن يكون قد أسهم ولو بقدر بسيط في فتح الباب أمام دراسات أخرى أكثر عمقًا وإلمامًا بهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: جماليات، الاعتداد، الاعتداد بالنفس، ابن المقرب، العيوني، الفخر بالنفس، الفخر الذاتي.

Self-esteem in the poetry of Ali bin Al-Muqarrab Al-Uyouni (content and art)

Muhammad Shukri Al-Mutawali Al-Mutawali
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: mohammedshokrey.32@azhar.edu.eg

Abstract:
Pride is one of the most important purposes of Arabic poetry, in which poets have traveled and toured, as the poet takes pride in himself and his people, such as courage, strength, eloquence, generosity, chivalry, oppression of enemies, etc., in accordance with Arab pride and nobility, Ibn al-Muqarrab lived a life in which there was neither stability nor stability. He left his country as a fugitive after his money was seized, lost, and deprived of his emirate, and he was the prince, the son of the prince. Sadness filled the sides of his soul, and anxiety took over him, and then poetry flowed on his tongue, revealing his value, status, and ability. To confront suitors and opponents, and to overcome obstacles and difficulties, so through this research I tried to uncover this phenomenon in his poetry, and stand with it, interrogating the texts in a way that reveals the emergence of this phenomenon and its aesthetic and artistic secrets.

In interpreting texts, I relied on the mechanisms of description and analysis, by describing the phenomenon and then analyzing it, in a way that reveals its aesthetics in terms of content and art. I also benefited from the psychological approach in interpreting some phenomena. Finally, I cannot help but acknowledge that this work is a research attempt. It is easy, and I do not claim that it has covered everything related to the subject of the research, as it is a human work that is marred by negligence and imperfections no matter how much its author tries to master and control it, but I hope that it has contributed, even if only a small way, in opening the door to other studies that are more in-depth and knowledgeable about this subject.

Keywords: Aesthetics, Pride, Self-esteem, Ibn al-Muqarrab, Al-Ayouni, Self-pride, Self-pride.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولى الألباب، والصلاة والسلام على سيد الأحباب، نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) النبي الأمي المبعوث بالحق والصواب، الشافع المشفع يوم الحساب، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

وبعد..

يعد الفخر أحد أهم أغراض الشعر العربي، التي صال الشعراء في ميدانها وجالوا، حيث يعتد الشاعر بخلال نفسه وقومه، من شجاعة وقوة وفصاحة وكرم وشهامة وقهر للأعداء وغيرها، بما يتوافق مع عزة العربي وأنفته.

لقد عاش ابن المقرب حياة لا قرار فيها ولا استقرار، حيث خرج من بلده طريدًا بعد الاستيلاء على ماله وضياعه وحرمانه من إمارته وهو الأمير ابن الأمير، فملأ الحزن جوانب نفسه، وسيطر القلق عليه، ومن ثم جرى الشعر على لسانه كاشفًا عن قيمته ومكانته، وقدرته على مواجهة الخطوب والخصوم، والتغلب على العقبات والصعوبات.

وقد وجدت إشارات في بعض الكتب والأبحاث عن اعتداد ابن المقرب بذاته، لكني لم أطلع على دراسة مستقلة تتناول هذه الظاهرة البارزة في شعره، فآثرت أن تكون دراستي في هذا البحث عن هذه الظاهرة، فعنونته بـ (الاعتداد بالنفس في شعر ابن المقرب العيوني: المحتوى والفن)، وقد اخترت مصطلح (الاعتداد بالنفس) دون غيره من المصطلحات كالفخر الذاتي والأنا والنرجسية وفلسفة القوة وغيرها، لأنها جميعًا توحي بالكبر وتشير إلى الغرور غالبًا، بخلاف الاعتداد الذي يخلو من تلك الإشارة وهذا الإيحاء.

وقد حاولتُ من خلال هذا البحث الإجابة عن بعض التساؤلات ومعالجة بعض الإشكاليات، منها:

- التعريف بابن المقرب العيوني، والأسباب التي دفعته إلى الاعتداد بنفسه في شعره.
- ما هي أهم المآثر والخلال التي اعتد بها ابن المقرب ؟
- هل كان اعتداد ابن المقرب نابعًا من نفس مغرورة متكبرة ؟
- ما أهم السمات والخصائص الفنية في شعر ابن المقرب ؟

وقد سبقت هذه الدراسة عدة دراسات تناولت ابن المقرب وشعره، منها:

- ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٣/١٩٧٤م.
- ابن مقرب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، مكتبة لسان العرب، ط١، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ .
- ابن مقرب حياته وشعره، عمران بن محمد العمران، مطابع الرياض، بدون.
- علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، د/ علي بن عبد العزيز الخضيري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- الموسيقى الخارجية عند ابن المقرب العيوني، للباحث/ أحمد سمير عبد الكريم محمد، مصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عـ٣٥، ج٢.

كما سبقتها العديد من الدراسات التي تناولت الاعتداد بالنفس عند بعض الشعراء، منها:

- الأنا في شعر الشريف العقيلي، د/ شيماء نجم عبد الله العبيدي.
- الذات المفتخرة في جمهرة أشعار العرب، د/ عبد الإله عبد الوهاب العرداوي.
- الذات في شعر حسين سرحان، ندى بنت محمد الحازمي.
- الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني، د/ منى عبد الله منصور المطرفي.

- حب الذات في شعر أبي الطيب المتنبي، د/ عمر عيد السليمان المومني، د/ مصطفى عوض بني ذياب، د/ معاذ جميل الحياري.
- الفخر عند الشاعر يوسف الثالث، محمود راشد يوسف مصطفى.

أما عن المنهج الذي اتبعته فيها، فقد اعتمدت على آليتي الوصف والتحليل، عن طريق وصف الظاهرة ثم تحليلها، كونهما الأنسب لدراسة هذه الظاهرة بما يميط اللثام عن جمالياتها من حيث المحتوى والفن، كما أفدت من المنهج النفسي في تفسير بعض الظواهر عند ابن المقرب.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وفهرست للموضوعات، ففي المقدمة ذكرت أهم الدوافع والأسباب لتلك الدراسة، وأهم الإشكاليات التي تعالجها، وتقسيماتها، ومنهجها، وفي التمهيد تناولت ابن المقرب معرفًا به وكاشفًا عن شخصيته، ثم وقفت القارئ على أهم الأسباب التي دفعته إلى الاعتداد في شعره، وأما المبحث الأول فقد قمت فيه بدراسة الاعتداد بالشجاعة، وركزت في المبحث الثاني على دراسة الاعتداد بالنسب، وفي المبحث الثالث تناولت الاعتداد بالشاعرية، وفي المبحث الرابع تحدثت عن الاعتداد بالأخلاق الكريمة، وخصصت المبحث الخامس لدراسة أهم السمات والخصائص الفنية في شعر ابن المقرب، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة، ثم ذكرت ثبتًا لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، وفي النهاية كان الفهرست مرآة كاشفة عن مباحث تلك الدراسة وأفكارها.

والله أسأل التوفيق والسداد، والسير على طريق الهدى والرشاد، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول في القول والعمل، وأن يجزينا ويجزي عنا من علمونا خير الجزاء، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمهيد (ابن المقرَّب وبواعث اعتداده بنفسه)

أولًا: ابن المقرّب .. الأمير الطريد

هو علي بن مُقَرَّب بن منصور بن مقرّب بن الحسن بن عزيز بن ضَبَّار بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد الرَّبَعِيّ[١] البَحْرَانيّ العُيُونيّ .[٢]

لقبه: جمال الدين[٣]، وكنيته: أبو الحسن[٤]، وشهرته: ابن المقرب العيوني، نسبة إلى بلدة العيون بالأحساء[٥].

عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين، حيث ولد في عام ٥٧٢هـ في بلدة العيون، وتوفي في عام ٦٢٩هـ[٦] بطيبى[٧]، ولم تسعفنا

---

(١) نسبة إلى ربيعة بن نزار .

(٢) وقع اختلاف بين الرواة والمؤرخين في نسب ابن المقرب، وما أثبتناه أقربها صوابًا وأولاها قبولًا، ينظر: ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٣/١٩٧٤، صـ١٦– ١٩، وينظر: ابن مقرب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، مكتبة لسان العرب، ط١، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، صـ٣٩–٤٠، وينظر: ابن مقرب حياته وشعره، عمران بن محمد العمران، مطابع الرياض، بدون، صـ١٣– ١٦، وينظر: شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، صـ٢٦– ٢٨، وغيرها.

(٣) ويلقب أيضًا بموفق الدين، وكمال الدين، ومهذب الدين، ونور الدين.

(٤) ويكنى أيضًا بأبي عبد الله وأبي القاسم وأبي منصور، ولا يمنع مانع من تعدد الألقاب والكنى للشخص الواحد.

(٥) الأحساء: مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون، ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ، صـ١١٢.

(٦) وقيل ٦٣٠هـ ، وقيل ٦٣١هـ .

(٧) إحدى قرى سواحل عمان.

المصادر الأدبية بشيء من حياته الأولى من حيث الأسرة والطفولة والنشأة ومصادره التعليمية والمعرفية وملامحه الجسدية والنفسية والروحية، ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال النظر في نتاجه الشعري واستنطاق تجربته الذاتية(١)، وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في اسمه ولقبه وكنيته وترتيب سلسلة نسبه، إلا أنهم اتفقوا على أصله عروبةً ونسبًا وإمارته وشاعريته فابن المقرب "على أي حال عربي صميم، أمير من أمراء الدولة العيونية وشاعر فحل من شعراء القرن السابع الهجري، وهو ينتمي بنسبه إلى بني ربيعة، وهم فخذ من قبيلة عبد القيس العدنانية ذات الأمجاد الرفيعة الشامخة في الجاهلية والإسلام، وهو كثير الفخر والاعتزاز بأصوله فلا تخلو قصيدة من قصائده إلا وفيها فخر بأمجاد قومه"(٢).

لقد عاش ابن المقرب حياته متطلعًا إلى المعالي وثابًا إلى المجد، فكان أبيّ النفس، عليّ الهمة، جرئ الجنان، طلق اللسان، قوي الشعور والوجدان، "فيمكن القول بأن شاعرنا نشأ وترعرع بين قومه أمراء البحرين، وغذي بلبان الشهامة والبطولة منذ نعومة أظفاره، وشب عزيز النفس، شديد البأس، صلب القناة، حاد الطبع، وهبه الله جنابًا ثابتًا، وفؤادًا يقظًا، ونفسًا تائقة إلى معالي الأمور، وأبعد عن مواطن الريب ودفعته إلى طريق الأمجاد"(٣).

لقد شاءت إرادة الله أن تعيش هذه النفس الأبية في ظل ضعف الدولة العيونية وتنازع أبناء عمومته على كرسي الحكم، مما جعل الأجواء مهيأة والفرصة سانحة للشانئين والحاسدين لإذكاء نار الفتنة وزرع بذور الكراهية بينه

(١) ينظر: ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، تحقيق: د/ أحمد موسى الخطيب، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، المملكة العربية السعودية، بدون، ٢٠٠٢م، جـ١صـ١١.

(٢) ابن مقرب العيوني: حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ١٩.

(٣) ابن المقرب شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية: حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، صـ٤٢.

وبين الحكام من أبناء عمومته، "فبعد أن شب شاعرنا واكتملت رجولته، وتحركت في نفسه روح الطموح ودوافع الغيرة إلى المجد ورغم أنه لم يكن صاحب قضية سياسية، فقد أخذت الشكوك تحوم حوله من قبل بني عمه أمراء العيونيين الذين هم حكام البحرين، فوجد الحساد والناقمون عليه وعلى الدولة فرصتهم الوحيدة فسعوا به لدى أبناء عمه حتى اضطهدوه وصادروا أمواله وممتلكاته، وشدوا عليه خناق الحياة، وكل ذلك خوفًا منه ومن نبوغه الذي لاحظوه عليه، فلم يجد ابن المقرب سبيلًا إلا مغادرة وطنه، والرحيل بعيدًا عن بني عمه وعشيرته، فسافر إلى العراق ودخل بغداد والموصل وواسط وديار بني بكر، فأخذ يتصل بالولاة والأمراء هنا وهناك وأنشد فيهم المدائح فأكرموا وفاده وأحلوه مكانًا طيبًا من مجالسهم، ولكن دفع به الحنين بعد حين إلى وطنه ومسقط رأسه، فعاد وأنشد القصائد في بني عمه أمراء العيونيين، آملًا في استجابتهم وتركهم سماع كلام الحساد والواشين، فلم يحرك ذلك منهم ساكنًا ولم يصيخوا إلى مدائحه ولم يعيروه أي انتباه"(١)، فخرج منها مرة أخرى، حتى توفي غريبًا طريدًا.

وعلى الرغم من أن ابن المقرب عاش الفصل الأخير من حياته طريدًا وتوفي غريبًا، وأنه لم ينل من أسرته حكام البحرين الاستقرار الذي كان ينشده ولا المنزلة التي كان يستحقها، إلا أنه ظل حتى آخر أنفاسه شديد الفخر بنفسه، كثير الاعتزاز بقومه.

(١) ابن مقرب العيوني: حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٢٣.

ثانيًا: أسباب اعتداده بنفسه وقومه

من خلال ما سبق من نبذة عن حياة ابن المقرب، وبعد طول نظر ومطالعة في ديوانه، نستطيع أن نخلص إلى عدة أسباب وبواعث دفعته إلى الاعتداد بذاته والافتخار بنفسه، لعل من أهمها:

- شخصيته الفريدة المبهرة، حيث منحه الله شخصية متفردة تفرض نفسها على كل من عرفها ولو من خلال مطالعة أشعاره، فترسخت في نفسه منذ الصغر سمة التميز والتفرد، ومن ثم ولد كبيرًا وعاش عزيزًا ومات عظيمًا، "فلقد كان عزيزًا في نفسه، عاليًا في همته، طموحًا إلى المجد، تواقًا إلى المعالي، أنوفًا للذل والخنوع، كما كان متوقد العزم، لاهب الحماسة، صلب القناة، حار الطبع، حاد المزاج، لم يكن بالترعية[١] الغمر[٢]، ولا بواهي العزيمة أو كابي الزناد[٣]، كان شجاعًا في رأيه، مخلصًا في نصحه، فاضلًا في خلقه، مشهودًا له بالسماحة والحجا والأناة، متحليًا بطول الصبر مع ما نابه من مصائب الزمان، ...، كان ذا مطلب ضخم، ومراد عظيم.. ولا شك أنه على قدر علو الغاية تكون صعوبة المرتقى، لم يشعر ابن المقرب بالضعف أمام القوى المادية التي يملكها الولاة – من بني عمه – الذين غضبوا عليه والذين غضب عليهم وجفاهم، بل لقد كان يحس بأن في وسعه مجابهة كل عاث وكل سلطان وأن يكون له بالمرصاد، فهو يشعر بقوة لدنية تكافئ – في نظره – قوة الجيوش وبأسها"[٤]، فكأنه تربى على ذلك حتى صار اعتداده بنفسه سجية لا يفارقها ولا تفارقه.

---

(١) الترعية، بالكسر والتخفيف: الذي يحسن الرعي.

(٢) رجل غُمْر وغَمَرٌ: ضَعِيف لم يُجَرِّب الأمور.

(٣) كابي الزناد: مَنْ يبخل بالفضل والمعروف والعون.

(٤) ابن مقرب: حياته وشعره، عمران بن محمد العمران، صـ٢٤.

- الأصل الشريف والنسب الرفيع الذي ينتمي إليه شاعرنا، حيث ينتمي إلى الأسرة العيونية التي حكمت منطقة البحرين حينًا من الدهر، بعدما قضى جده السادس عبد الله بن علي العيوني على حكم القرامطة فيها، وأزال دولتهم نهائيًا سنة ٤٦٨هـ، ومن ثم ورث السيادة والمجد كابرًا عن كابر، وآخرًا عن أول(١).
- معاناته وما قاساه من ظلم واضطهاد من أقرب الناس إليه – أبناء عمومته – ، ومن ثم أراد أن يذكر نفسه والمطالعين لشعره بمكانته العالية ومنزلته السامية ومقامه الرفيع، حتى يطرد من مخيلته ومخيلة من يعايشوه شبح الضعف والهوان والذلة، "فكان كثير الحديث عن نفسه، كما كان شديد الإعجاب بها، وبنسبه وبشجاعته، مؤمنًا أشد الإيمان بصدق مطلبه وعدالة قضيته، وقد يكون مصدر ذلك الأعجاب ما لاقاه في حياته من عنت.. ولكن قد يكون إعجابه المتناهي أحد العوامل النفسية التي حالت دونه ودون ما يطمح إليه"(٢).
- نبوغه الشعري منذ نعومة الأظفار، "فقد بدأت شاعريته تظهر جلية واضحة في سن مبكرة من عمره، فقد قال الشعر وهو لم يبلغ السن العاشرة من عمره"(٣)، فكان يملك موهبة شعرية قوية وملكة لغوية قادرة على التعبير عن عواطفه ومشاعره، ومن ثم جرى الشعر على لسانه أنغامًا شجية تطرب السامعين، ويظل صداها يرن في سمع الكون مدى الزمان، "لقد نظم ابن مقرب الشعر طبعًا، وصدح به – قبل الأوان – ألحانًا شادية ماتعة وأنغامًا

(١) ينظر: ابن مقرب العيوني شاعر الخليج في العصور الإسلامية: حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، صـ٤٠.

(٢) ابن مقرب: حياته وشعره، عمران بن محمد العمران، صـ٢٥،٢٤.

(٣) ابن مقرب: حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٢١.

عذبة أصيلة، فصار مثلًا سائرًا مع الدهر وغدا مبعثًا للإكبار والإعجاب في نفوس قارئيه،...، وهكذا فإن ابن مقرب كان – في وطنه وفي زمنه – أمة في الشعر"(١).

- علمه الوافي وثقافته الواسعة المتنوعة، فقد كان ذا عقلية ناضجة، وفكر عميق متفتح، ونفس تواقة للعلم نزاعة للمعرفة ذواقة للفن والأدب، فلا يستطيع من يتصفح ديوانه ويطالع أشعاره إلا الإقرار بتلك الحقيقة الواضحة والصورة البارزة، فليس من شك "أن سعة الأفق الثقافي لدى شاعرنا تكاد تكون أبرز ظاهرة يلمسها الدارس لشعره ويلحظها الواقف على ديوانه، ...، وبعبارة أشمل لم يقرض ابن مقرب شعرًا إلا بعد أن اكتملت ثقافته ونمت موهبته وبعد أن أصبح مهيئًا لعرض أفكاره وإعلانها على الملأ"(٢).

كانت تلك أبرز البواعث التي جعلت ابن المقرب يكثر من الاعتداد بنفسه والاعتزاز بذاته، حتى صارت سمة بارزة وظاهرة واضحة في كل صفحة من صفحات ديوانه.

(١) ابن مقرب: حياته – شعره، عمران بن محمد العمران، صـ٩١.

(٢) السابق، صـ٦٦.

المبحث الأول: الاعتداد بالشجاعة

في بيئة بدوية بدائية وأرض صحراوية قاحلة، عاش العرب قديمًا حياتهم، لا يعرفون راحة ولا استقرارًا، حيث يعدو القوي على الضعيف ويسطو الفارس الشجاع على الضعة الجبان ويجور الكثير على القليل، ومن ثم مجَّد العرب الشجاعة وربُّوا عليها أبناءهم؛ ليكونوا لهم سيفًا ضاربًا ودرعًا واقيًا، حيث لا تقيهم غير السواعد القوية والقلب الجريء، فكانت طبيعة حياتهم أن يقوموا "بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا في المجالس، وعلى الرحال، وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنَّبآت[١] والهَيعَات[٢]، ويتفردون في القفر والبيداء مُدِلِّين ببأسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ أو استصرخهم صارخ"[٣]، ومن ثم تغذوا بلبان الشجاعة وتربوا على موائد القوة وشدة البأس، فتأصلت فيهم صفات الجرأة والإقدام والشجاعة والكبرياء، "فإذا تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة ولدت معه، وأنه شب وكبر وهى تتمشى في دمه، وكيف لا وقد ربي في بيئة تتمدح بالبطولة والإقدام، وحسن البلاء في حماية الذمار والأخذ بالثأر، وبالعدوان في كثير من الأحيان، وطالما فزع طفلًا على قعقعة السلاح وصيحات المتقاتلين، وسمع الأقاصيص عن شجعان من القبيلة حموها، وردوا المغيرين عليها، أو هجموا على أخرى وأجلوها، ثم شب فرأى الرماح تشتبك

(١) جمع نبأة وهي: صت الكلاب، وقيل: هي الجرس أيًا كان. (ينظر: لسان العرب، ابن منظور ، صـ٤٣١٦)

(٢) جمع هيعة وهي: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م، جـ١، صـ٢٥١.

والسيوف تتقارع والأبطال في ميدان الوغى تتنازع، ثم كبر فشارك في المواقع، وأفنى العمر في المعارك، فلا عجب أن كانت الشجاعة خلقًا عامًا عند العرب"(١).

وإذا كانت الشجاعة أمرًا معنويًا لا يعرف وصفها بطبيعة الحال، فإن الشعراء تحدثوا عنها بذكر لوازمها وآثارها وعلاماتها، فمن أخص صفات الشجاع التي يعرف بها أنه "لا تروعه الأهوال، ولا يتردد في خوض معامع الأخطار، ولا يتزحزح عن مكانه مهما أحدقت به، بل يستقبل الموت بصدر رحب، ويضحي بنفسه في سبيل مبادئه التي يعتقدها، وتقوّي شخصيته كثرة تردده على اقتحام المعارك، فتورثه التجارب حنكة ودراية وخبرة يستطيع بها أن يحل المشكلات، ويخرج من الأزمات، وتمكنه من السيطرة على الحروب ومقابلة ويلاتها بصدر رحب حتى إنه ليسمى ابن الحروب وفصيلها"(٢).

لقد تغنى الشعراء بالشجاعة منذ جرى الشعر على ألسنتهم، فمدحوا الشجعان من أقوامهم، وأنزلوهم منزلة عالية وأحلوهم محلًا رفيعًا، ومن ثم لا نعجب إذا ما رأينا بعض الشعراء يتغنون بشجاعتهم ويترفعون على غيرهم بقوتهم وشدة بأسهم، إذ الشجاعة هي العماد الذي عليه تقوم شخصيتهم، وتتوقف شهرتهم، وتبرز بطولتهم، وتعلو مكانتهم.

يعد ابن المقرب واحدًا من الشعراء الشجعان، الذين نظروا إلى نفوسهم فأكبروها، ورأوا ذاتهم فعظموها ومجدوها، ولا عجب في ذلك فابن المقرب يمتلئ قوة وعزيمة، يرى القتل شرفًا ومجدًا، والفرار خزيًا وعارًا، لا يعرف الخوف، وليس

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د/ أحمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط٢، بدون، صـ٢٥٩.

(٢) شعر الحرب في العصر الجاهلي، د/ علي الجندي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٦٦م، صـ٩٤،٩٥.

للرعب لديه سبيل، يفيض حماسة وغيرة، ويثور لشرفه وكرامته، ويغضب إذا انتهكت حرمات قبيلته.

وقد تجلى اعتداد ابن المقرب بشجاعته في كثير من أشعاره في صور شتى وألوان عدة، منثورة على صفحات ديوانه، منها قوله (الطويل) [١]:

بسُـمْر القَنَـا والمُرْهَفَـاتِ الصَّـوَارِمِ ... بِنَـاءُ المعَـالِي، واقْتِنَـاءُ المَكَـارِمِ[٢]

وَفِـي صَـهَوَاتِ الخَيـلِ تَـدْمَى نُحُوْرُهَـا ... شِـفَاءٌ لِأَدْوَاءِ القُلُـوبِ الحَـوَائِمِ[٣]

وَلَـيْسَ بِبِسْـمِ اللهِ قُـدَّامَ بَغْلَـةٍ ... فَخَارٌ لِجَعْدِ الكَفِّ رَخْوِ المَلَاغِمِ[٤]

وَمَا الفَخْرُ إِلَا الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ والنَّدَى ... وَرَفْـضُ الـدَّنَايَا واغْتِفَـارُ الجَـرَائِمِ

وَلَـفُّ السَّـرَايَا بِالسَّـرَايَا تَخَالُهَـا ... حِـرَارَ الحِجَـازِ أَوْ بِحَـارَ الْكَـوَاظِمِ[٥]

تَقَحَّمَهَـا قِـدْمًا إِلَـى المَـوتِ فِتْيَـةٌ ... تَرَى عِيشَةً فِي الذُّلِّ حَزَّ الغَلَاصِمِ[٦]

خَلِيلَـيَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ تَغْلِبٍ ... ذَرَانِـي فَـإِنِّي بِـالْعُلَى جِـدُّ هَـائِمِ

فَمَـا السُّـمْرُ عِنْـدِي غِيْـرُ خَطِّيَّـةِ القَنَـا ... وَلَا الْبِيضُ عِنْدِي غَيْرُ بِيضِ الْلَهَاذِمِ[٧]

وَلَا تَـذْكُرَا الصَّـهْبَاءَ مَـا لَـمْ تَكُـنْ دَمًـا ... وَلَا مُسْمِعًا مَا لَمْ يَكُنْ صَوْتَ صَارِمِ[٨]

---

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٤، صـ١٨٨٧– ١٨٩٦.

(٢) القنا: الرماح، المرهفات: السيوف القواطع.

(٣) الصهوة: موضع اللبد من الفرس، الحوائم: العطاش.

(٤) جعد الكف: كناية عن البخل، الملاغم: ما حول الفم ويبلغه اللسان، واسترخاؤها: استرسالها.

(٥) السرية: قطعة من الجيش، ولفها: خلط بعضها ببعض، الحرار: جمع حِرَّة وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، الكواظم: أرض على سيف البحر.

(٦) تقحمت الشيء واقتحمته إذا رميت نفسك فيه من غير فكر ولا روية، والغلاصم جمع غلصمة، وهي رأس الحلقوم، وهو الموضع الناتئ من الحلق.

(٧) القنا: الرماح منسوبة إلى الخط، وهي القطيف من البحرين، اللهاذم: القواطع.

(٨) الصهباء: الخمر، ومسمع: المغني، وصوت صارم أي سيف قاطع.

فَـإِنِّي أُحِـبُّ الشُّـرْبَ فِـي ظِـلِّ قَسْـطَلٍ ... مَجَالِسُـهُمْ فِيـهِ ظُهُـورُ الصَّـلَادِمِ[١]

وَأَهْـوَى اعْتِنَـاقَ الـدَّارِعِينَ وَأَجْتَـوِي ... عِنَـاقَ بُيَيْضَـاتِ الخُـدُورِ النَّـوَاعِمِ[٢]

وَمَــنْ طَلَــبَ الْعَلْيَــاءَ جَــرَّدَ سَــيْفَهُ ... وَخَاضَ بِـهِ بَحْرَ الرَّدَى غَيْرَ وَاجِمِ[٣]

فَمَــا عَظُمَــتْ قِــدْمًا قُــرَيْشٌ وَوَائِــلٌ ... عَلَــى النَّــاسِ إِلَّا بِارْتِكَــابِ العَظَــائِمِ

وَمَـنْ لَـمْ يَلِـجْ بِـالنَّفْسِ فِـي كُـلِّ مُـبْهَمٍ ... يَعِشْ غَرَضًا لِلـذُّلِّ عَـيْشَ البَهَـائِمِ[٤]

وَمَـنْ لَـمْ يَقُـدْهَا ضَـامِرَاتٍ إِلَـى العِـدَى ... تُقَـدْ نَحْـوَهُ عُـوجُ الْبُـرَى وَالشَّـكَائِمِ[٥]

فَمَــا انْقَــادَتِ الأَشْــرَارُ إِلَّا لِغَاشِــمٍ ... لَــهُ فِـيهِمُ فَتْـكُ الأُسُـودِ الضَّـرَاغِمِ[٦]

فَمَــنْ رَامَ أَنْ يَسْــتَعْبِدَ النَّــاسَ فَلْيَمُــلْ ... عَلَــيهِمْ بِــأَطْرَافِ القَنَــا غَيْــرَ رَاحِــمِ

لقد امتلأت نفس ابن المقرب بصفات الرجولة الكاملة والقيادة المستحقة، فانسابت على لسانه شعرًا ملأ الدنيا، يفيض عذوبة وصدقًا، ففي هذه القصيدة يتوجه بالحديث من بيتها الأول إلى من يروم المجد ويبغي الشرف ويهوى البطولة، فيرسم له السبيل بدقة، ويصور له معالم الطريق بمهارة وعناية، فبالسيوف والرماح، وخوض معامع الحروب ببسالة وجرأة، والإقبال على المخاطر

(١) القسطل: الجيش الكثير، والصلادم: جمع صلدم وهو الخيل الشداد.

(٢) أجتوي: أكره، بييضات الخدور: تصغير بيضات جمع بيضة، والمرأة يكنى عنها ببيضة الخدر، والخدر: الستر، النواعم: اللينات الأجسام.

(٣) جرد سيفه: سّله، الردى: الهلاك، الواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(٤) الولوج: الدخول في الشيء، والمبهم: الأمر الذي لا مأتى له من أبهمت الباب أي أغلقته، الغرض: الهدف الذي يرمى فيه.

(٥) يقدها يعني الخيل، والبرى جمع برة وهي الحلقة، والشكيمة في اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس.

(٦) الانقياد: الخضوع، الغاشم: الظالم، الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو عار غافل فيشد عليه فيقتله.

بروح الظفر والانتصار، فيكر حين يفر الناس ويقبل حين يدبر الناس، ومن ثم يكون أهلًا للزعامة والريادة.

ولم ينس ابن المقرب حظ نفسه، فيتحدث عن عزتها وصيانة كرامتها، فهي نفس لا ترى إلا العزة ولا تبغي بها بدلًا، لا تنشغل بالنساء على اختلاف ألوانها وأشكالها وطباعها، ومن ثم يطالب صاحبيه أن يحدثاه عن الرماح السمراء وليس النساء الشقراوات، والسيوف البيضاء وليس النساء البيضاوات، وألا يكلماه عن الخمور والغناء بل عن صليل السيوف والدماء، فنفسه تهوى لقاء الأعداء وقتلهم وتكره عناق النساء والاستمتاع بهم، ثم يقرر أن من طلب العلا وتاقت نفسه للمجد لابد وأن يشهر سيفه في وجه كل طاغية متجبر؛ ليحيا حياة العز وينأى بنفسه عن حياة الذل والهوان، ضاربًا المثل بقبيلتي قريش وبني وائل اللذين تبوءا مكانة عالية بين القبائل العربية بخوضهما للمعارك واقتحام الأهوال والأخطار، ثم يؤكد على أن من لم يرد موارد الشرفاء ويتصف بصفات الشجعان فسيبقى هدفًا للذل وغرضًا للهوان، وأن من لم يتقدم نحو المعالى تقدمت إليه السفاسف والمخازي .

لقد فهم ابن المقرب طبيعة الحياة في البيئة العربية، وطالت فيها تجاربه، وكثرت مشاهدات أحداثها واستماع أخبارها، فأصبح ذا خبرة كبيرة بتلك الحياة، يعلم ما يرفع فيها وما يخفض، وما يعز وما يذل، فأراد أن ينشر خبرته على الجميع، منوهًا في الوقت نفسه على عزته وسيادته وجرأته وشجاعته وهيبته، حتى لا يطمع فيه طامع، ولا يتجرأ عليه متجرئ، فيبقى عزيزًا مهابًا.

وفي نفس الاتجاه، وذات المعنى، يقول (الطويل) [١]:

يَظُنُّ نُحُولِي ذُو السَّفَاهَةِ وَالْغَبَا غَرَامًا بِهِنْدٍ وَاشْتِيَاقًا إِلَىٰ دَعْدِ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٥٨٢– ٥٨٤.

وَلَـمْ يَـدْرِ أَنِّـي مَاجِـدٌ شَـفَّ جِسْـمَهُ ... لِقَـاءُ هُمُـومٍ خَيْلُهَـا أَبَـدًا تُـرْدِي

قَلِيلُ الكَرَى مَاضٍ عَلَـى الهَولِ مُقْدِمٌ ... عَلَى اللَيلِ وَالبَيدَاءِ وَالحَرِّ والبَرْدِ

عَــدِمْتُ فُــؤَادًا لَا يَبِيــتُ وَهَمُّــهُ ... كِرَامُ المَسَاعِي وَارْتِقَاءٌ إلى المَجْدِ

لَعَمْـرُكَ مَـا دَعْـدٌ بِهَمِّـي وَإِنْ دَنَـتْ ... وَلا لِـي بِهِنْـدٍ مِـنْ غَـرَامٍ وَلا وَجْـدِ

وَلِكِــنَّ وَجْــدِي بِــالعُلا وَصَــبَابَتِي ... بِعَارِفَــةٍ أُسْــدِي وَمَكْرُمَــةٍ أُجْــدِي

فلا هم يشغله ولا أمل ينشده، سوى الوصول إلى قمة المجد والعلا، وفي سبيل ذلك نحَل جسده ووهن بدنه، وسهر الليالي الطوال، لا من أجل هند ولا دعد ولا غيرهما، إنما من أجل السيادة والكرامة والعزة، لا يثنيه عن ذلك حرٌّ ولا برد، متجاوزًا المفاوز والقفار، مضحيًا بكل عزيز، رافضًا كل المغريات الدنيوية الزائلة.

ومن النماذج التي يعتز فيها بشجاعته، ويعتد بقوته، ويفخر ببسالته وجرأته، قوله (البسيط)[1]:

وَكَـمْ طَرَقْـتُ رِجَـالًا يَنْـذِرُونَ دَمِـي ... أَسْـقَيْتُهُمْ عَلْقَمًا غَصْبًا لَـهُ شَرِبُوا

وقوله (البسيط)[2]:

أَنَـا الَّـذِيْ يَرْهَـبُ الجَبَّـارُ سَـطْوَتَهُ ... وَبِـي يُقَـوَّمُ مَـنْ فِـي خَـدِّهِ صَـعَرُ

وقوله (البسيط)[3]:

عَلَـى حُسَـامِي وَعَزْمِـي لَا عَـدِمْتُهُمَا ... وِرْدِي، وَلَكِنْ عَلَى رَبِّ العُلَى صَدَري

وَكَيْـفَ أَرْهَـبُ مَوتًـا أَوْ أَخَـافُ رَدَىً ... وَحَامِلُ المَيتِ مَحْمُولٌ عَلَى الأَثَرِ؟!

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٤٤٨،٤٤٩.

(٢) السابق، ج٢، صـ٩٧٤.

(٣) السابق، ج٢، صـ٩٨٦، ٩٨٧.

وَلَسْـــتُ مِمَّـــنْ إِذَا نَابَتْـــهُ نَائِبَـــةٌ ... أَحَـالَ عَجْـزًا وَإِشْـفاقًا عَلَـى القَـدَرِ

وقوله (الوافر)[١]:

فَـإِنَّ المَـوتَ فِـي طَلَـبِ ارْتِفَـاعٍ ... لَـدَيَّ، وَلَا حَيَـاةٍ فِـي اتّضَـاعِ

وُثُـو بُ اللَّيْـثِ فِـيَّ إذا تَبَـدَّتْ ... فَرِيسَـتُهُ، وَإِطْـرَاقُ الشُّـجَاعِ

وقوله (الطويل)[٢]:

وَهَلْ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ ... وَيَجْلُو ظَلَامَ الْخَطْبِ إِلَّا فَتَىً مِثْلِي

وقوله (الطويل)[٣]:

وَقَائِلَـةٍ وَالعِـيسُ تَحْـدَجُ لِلنَّـوَى ... وَدَمْعُ الجَوَى قَدْ جَالَ فِي الخَدِّ جَائِلُهْ

عَلَيْـكَ بِصَـبْرٍ وَاحْتِسَـابٍ فَإِنَّمَـا ... يَفُوتُ الثَّنَـا مَـنْ رَاحَ وَالصَّبْرُ خَاذِلُـهْ

وَلا تَـرْمِ بِـالأَهْوَالِ نَفْسًـا عَزِيـزَةً ... فَذَا الدَّهْرُ قَدْ أودَى، وَقَامَتْ زَلازِلُهْ

فَكَـمْ كُرْبَـةٍ فِـي غُرْبَـةٍ وَمَنِيَّـةٍ ... بِأُمْنِيَّـةٍ وَالـرِّزْقُ ذُو العَـرْشِ كَافِلُـهْ

فَقُلْـتُ لَهَـا وَالعَـينُ سَـكْرَى بِزَفْـرَةٍ ... أُرَدِّدُهَـا، وَالصَّـدْرُ جَـمٌّ بَلابِلُـهْ

أبـالمَوتِ مِثْلِـي تُـرْهِبِينَ وَبِـالنَّوَى ... وَعَاجِلُـهُ عِنْـدِي سَـوَاءٌ وَآجِلُـهْ

وقوله (الوافر)[٤]:

فَمِثْلِـي مَـنْ يُقِـيمُ صَـغَى الأعَـادِي ... وَيُسْـتَعْدَى عَلَـى نُـوَبِ الزَّمَـانِ

وَمَـا ذِكْـرُ المَنِيَّـةِ عِنْـدَ أمْـرٍ ... أُحَاوِلُـهُ بِثَـانٍ مِـنْ عِنَـانِي

إِذَا يَـومِي أَطَـلَّ فَمَـا أُبَـالِي ... بِسَـيفٍ كَـانَ حَتْفِـي أَو سِـنَانِ

وَمَـنْ يَـكُ عُمْـرُهُ المَكْتُـوبُ تِسْـعًا ... فَـلا يَخْشَـى المَنِيَّـةَ فِـي الثَّمَـانِ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ١١٠٢،١١٠٣.

(٢) السابق، ج٣، صـ١٣١٦.

(٣) السابق، ج٣، صـ١٣٣٨ – ١٣٤١.

(٤) السابق، ج٥، صـ٢٧٤٠ – ٢٧٤٣.

فكل تلك النماذج وغيرها[١] تدل دلالة واضحة على أننا أمام شاعر صاحب قضية، لم يصرف ذهنه إلى ما يشغله عن قضيته الأساسية وهي السيادة والريادة والمجد والكرامة، ولا يرضى بها بديلًا أبدًا، مهما كانت المغريات والملهيات.

ومن صور الشجاعة التي ذكرها شاعرنا ثباته في الحروب وصموده عند الشدائد والخطوب، فهو المؤمل في حماية الديار والذب عن الأحساب والأنساب والذمار، والمرتجى في الدفاع عن الأعراض ورد كيد الأعداء، ومن ذلك قوله (الكامل)[٢]:

فَاسْتَخْبِرِي فِتْيَانَ قَومِي أَيُّهُمْ ... يُغْنِي غَنَائِي أَو يَقُومُ وَأَقْعُدُ
قَدْ أَحْمِلُ العِبءَ الثَّقِيلَ وَبَعْضُهُمْ ... فِيهِ يُصَوِّبُ طَرْفَهُ وَيُصَعِّدُ
وَأَذُبُّ عَنْ أَحْسَابِ قَومِي جَاهِدًا ... إِنْ نَابَ خَطْبٌ أَو عَرَى مُسْتَرْفِدُ
وَإِذَا تَشَاجَرَتِ الخُصُومُ فَإِنَّنِي ... سَيفٌ عَلَى الخَصْمِ الأَلَدِّ مُجَرَّدُ

ويؤكد على المعنى ذاته فيقول (البسيط)[٣]:

أَلَا فَسَلْ أَيُّهُمْ يُغْنِي غِنَايَ إِذَا ... نَارُ العَدُوِّ تَعَالَى فَوْقَهَا الشَّرَرُ
وَمَنْ يَقُومُ مَقَامِي يَوْمَ مُعْضِلَةٍ ... لَا سَمْعَ يَبْقَى لِرَائِيْهَا وَلا بَصَرُ
وَمَنْ يَسُدُّ مَكَانِي يَومَ مَلْحَمَةٍ ... إِذَا الغَزَالَةُ وَارَى نُورَهَا القَتَرُ
أَمْضَى مِنَ السَّيفِ عَزْمًا حِيْنَ تُبْصِرُهُمْ ... مِثْلَ الجِدَاءِ إِذَا مَا بَلَّهَا المَطَرُ

(١) ينظر: شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج١، صـ٥٩٨- ٦٠٨، ج٢، صـ١٠٩٥- ١١٠٦، ج٢، صـ١١٢٢- ١١٢٣، ج٥، صـ٢٩٥٥- ٢٩٧٥ وغيرها.

(٢) السابق، ج٢، صـ٧٠٥- ٧٠٧.

(٣) السابق ، ج٢، صـ٩٥٥- ٩٦٠.

إِذَا نَطَقْــتُ فَــلا لَغْــوٌ وَلاْ هَــذَرٌ ... وَإِنْ سَـكَتُّ فَـلا عِـيٌّ وَلا حَصَـرُ
تَجْــرِي الجِيَــادُ وَإِنْ رَثَّــتْ أَجِلَّتِهَــا ... فَــلا يَغُــرُّكَ جُــلٌّ تَحْتَــهُ دَبَــرُ
إِنّــي لَأَعْجَـبُ مِـنْ قَـومٍ رَأَوْا عَسَـلًا ... ظُلْمِي وَأَسْوَغُ مِنْهُ الْصَّابُ وَالصَّبَرُ
أَيَــأْمَنُونَ انْتِقَــامِي لا أَبَــا لَهُــمُ؟ ... بِحَيْثُ لَيسَ لَهُمْ مِنْ سَطْوَتِي وَزَرُ
إِنّي امْرُؤٌ إِنْ كَشَرْتُ النَّابَ عَنْ غَضَبٍ ... لَا الخَطُّ تَمْنَعُ مِنْ بَأْسِي وَلَاْ هَجَرُ

وفي ذات السياق يقول (الطويل)[١]:

عَلَـى أَنَّنِـي النَّـدْبُ الَّـذِي تَكْتَفِـي بِـهِ ... إِذَا غَالَهَا خَطْبٌ مِنَ الدَّهْرِ مُبْهَمُ
وَعِنْــدِي لِشَــانِيهَا سُــيُوفٌ ثَلاثَــةٌ ... لِسَـانٌ وَرَأْيٌ – لَا يُفَـلُّ – وَمِخْـذَمُ

ففي هذه المواضع الثلاثة يؤكد على تصدره المشاهد العظيمة، وثباته حينما يفر الشجعان ويهرب الفرسان، على أننا وبعد الاطلاع على ما حبره المؤرخون من أخباره لا نجد من نعته بالفارس الشجاع، ولا من ذكر طرفًا من بطولاته الحربية، فكيف استساغ شاعرنا نسبة هذه الأوصاف لنفسه؟ ونحاول الإجابة عن ذلك بأنه ربما كان فارسًا بطلًا في شبابه يشارك مع قومه في الحروب فيبلي فيها بلاءً حسنًا، فلما وشى الواشون بينه وبين أبناء عمومته وأخرج من بلده انقطع عن الحروب، ومن ثم أغفل الكتاب ذكر بطولاته لقلتها وفروسيته لانقطاعها، وربما يكون مراده بتصدره المشهد الحربي مشاركته برأي سديد وخطة حربية شديدة الإحكام وترتيب وتنظيم للصفوف وغير ذلك، وهذا الدور لا يقل أهمية عن شهود الوغى، ومن ثم لم يذكر لنفسه مبارزات حربية ولا وصف مشاهد عسكرية من ميدان القتال، ومن الملاحظ أنه لم يكثر من ذكر ذلك في ديوانه على اتساعه، وما ذكره لم يبالغ فيه المبالغة الشديدة المنكرة.

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٧٨٧.

لقد عبر شاعرنا عن ذاته الشجاعة في صورتين، الأولى: نفسه الأبية وروحه العلية، وقلبه الجريء وفؤاده النقي البريء، والأخرى: بطولاته الحربية في ميدان الوغى، حيث كان سباق إلى الغايات، مقدام على العظائم، يقصد خطيرات الأمور، ويركب المراقي الصعبة، ويضطلع بأعباء المهمات، وإنه ليذلل العقاب، ويروض الصعاب، ويركب ظهور العوائق، ويتخطى رقاب الموانع، لا يتعاظمه أمر، ولا يقف دون غاية، ولا يفوته مطلب، ولا تعجزه لبانة، ولا ينكل عن خطة، ولا تثبطه عقلة.

وقد عبر عن كل ذلك بتعبير صادق وأسلوب رائق، فكل لفظ مونق وفي مكانه لائق، يخلو من الافتعال والتكلف واللغو والحشو، فمع كونه يفخر بذاته إلا أنه يصل بالقارئ إلى درجة من الإمتاع والمؤانسة.

المبحث الثاني: الاعتداد بالنسب

تتميز الأمة العربية عن غيرها من الأمم بصفات كثيرة وخلال عديدة، لكن من أخص خصائصهم وأهم سماتهم، اعتدادهم بأنسابهم العريقة واعتزازهم بأحسابهم الأصيلة، ومن ثم راح الشعراء يتفننون في ذكر مآثر أقوامهم عامة وأسرهم خاصة، فهذا يتحدث عن بطولات أخيه وأبيه وعمه وخاله وجده وغيرهم، وآخر يباهي بملكهم الموروث وعزهم التليد، ذاكرين أسماءهم وصفاتهم ومعاركهم، "فقد دعا ارتباط الشاعر بقومه، واعتزازه بالانتساب إلى قبيلته ومجتمعه إلى تخليد قيم هذا المجتمع والتغني بها، فافتخروا بأقوامهم ذاكرين فضائلهم، ومتحدثين عن سيادتهم، وكرم نسبهم وأصالته، مزدهين بأمجاد أهليهم التي هي في النهاية أمجادهم وأمجاد أبنائهم"(١).

لقد كان ابن المقرب شريف الأصل والنسب رفيع المجد الحسب، إذ ينتسب إلى الأسرة العيونية التي تضرب في أعماق الدهر بتاريخ مجيد ومجد تليد، فما زال يتغنى بعز أجداده وملكهم، حتى غلب على شعره فما خلت منه قصيدة من قصائد ديوانه، ومن النماذج التي يعتد فيها بنسبه، قوله (الطويل)(٢):

فَقَالَتْ: أَرَى البَحْرَين دَارَكَ، والهَوَى بَنُوكَ، وَهَذَا مَا أَرَى فَمَنِ الشَّعْبُ؟
فَقُلْتُ: سَلِي حَيَّي نَزَارٍ وَيَعْرُبٍ بِأَعْظَمِهَا خَطْبًا إِذَا اسْتُبْهِمَ الخَطْبُ(٣)

(١) مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، الذات المفتخرة في جمهرة أشعار العرب، د/ عبد الإله عبد الوهاب العرداوي و فاطمة محمد أحمد، عـ٥٢، ٣١ مارس ٢٠١٩م، صـ٤٧.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج١، صـ١١٩– ١٣٣.

(٣) حيي نزار: ربيعة ومضر، ويعرب بن قحطان أبو قبائل اليمن الذي ينتهي إليه نسبهم، واستبهم أي التبس حتى صار كالبهمة وهي الصخرة العظيمة التي لا يُدرى من أين تُرتَقَى.

وَأمْنَعِهَـــا جَـــارَاً، وَأوْسَـــعِهَا حِمَـــىً ... وَأصْـــعَبِهَا عِـــزَّاً إذَا اسْـــتُرْحِلَ الصَّـــعْبُ

وَأنْهَرِهَـــا ضَـــرْبًا وَطَعْنًـــا وَنَـــائِلًا ... إذَا اغْبَـــرَّتِ الآفَـــاقُ، أو هَـــرَّتِ الحَـــرْبُ[1]

وَأقْتَلِهَـــا لِلْمَلْـــكِ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ ... قَـــدِيمُ انْتِظَـــامِ المُلْـــكِ، وَالعَسْـــكَرُ اللَجْـــبُ[2]

فَقَالَـــتْ: لَعَمْـــرِي إنَّهـــا لَرَبِيعَـــةٌ ... بُنَـــاةُ المعَـــالِي لَا كِـــلابٌ وَلَا كَلْـــبُ

وَلَـــو سُـــئِلَتْ يَومًـــا رَبِيعَـــةُ مَـــنْ بِهِـــمْ ... لَهَـــا خَضَـــعَتْ، وَارْتَجَّـــتِ الشَّـــرْقُ وَالغَـــرْبُ

وَمَـــنْ خَيرُهَـــا طُـــرَّاً قَـــدِيماً وَسَـــالِفاً ... وَأنْجَبَهَـــا عُقْبَـــاً إذَا أخْلَـــفَ العُقْـــبُ

لَأَخْبَـــرَ أَهْـــلُ العِلْـــمِ أنَّ رَبِيعَـــةً ... رَحَـــىً آلُ إبْـــراهِيمَ فِـــي سُـــرِّهَا القُطْـــبُ

هُمُ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ، والنَّاسُ فَضْلَةٌ ... إذَا نَـــابَ أَمْـــرٌ أَطَّ مِـــنْ حَمْلِـــهِ الصُّـــلْبُ[3]

بِهِـــمْ يُـــدْرَكُ الشَّـــأوُ البَعِيْـــدُ وَعِنْـــدَهُمْ ... لِمُلْـــتَمِسِ المَعْـــرُوفِ ذُو مَرْبَـــعٍ خِصْـــبُ

وَفِـــيهِمْ رِبَـــاطُ المَكْرُمَـــاتِ وِرَاثَـــةً ... يُوَرِّثُهَـــا المَولُـــودَ وَالِـــدُهُ النَّـــدْبُ

وَلَـــولَا أَيَـــادِيهِمْ، وَفَضْـــلِ حُلُـــوْمِهِمْ ... لَزُلْزِلَـــتِ الآفَـــاقُ وَانْقَضَّـــتِ الشُّـــهْبُ

خِفَـافٌ إلَـى دَاعِـي الـوَغَى غَيـرَ أَنَّهُـمْ ... ثِقَـــالٌ إذَا خَفَّـــتْ مَصَـــاعِيبُهَا الهُلْـــبُ

إذَا الجَـــارُ أمْسَـــى نُهْبَـــةً عِنْـــدَ جَـــارِهِ ... فَـــأمْوَالُهُمْ لِلْجَـــارِ مَـــا بَيْـــنَهُمْ نَهْـــبُ

أَطَاعَتْ لَهُـمْ مَـا بَيْنَ(مِصْـرَ) إلَى(القَنَـا) ... إلَـى حَيـثُ تَلْقَـى دَارَهَـا (الشُّـحْرُ) و(النُّعْـبُ)

وَجَاشَـتْ نُفُـوسُ الـرُّومِ حَتَّـى مُلُـوكُهُمْ ... إذَا ذُكِـــرَتْ أمْلاكُهُـــمْ هَزَّهَـــا الرُّعْـــبُ

تَحِـــنُّ إلَـــى بَـــذْلِ النَّـــوَالِ أَكُفُّهُـــمْ ... حَنِينًـــا كَـــذَاتِ السِّـــقْبِ فَارَقَهَـــا السِّـــقْبُ[4]

وَأَكْثَـــرُ مَـــا تَلْقَـــاهُمُ وَلِبَاسُـــهُمْ ... حَبِيـــكُ الـــدِّلَاصِ التُّبَّعِيَّـــاتِ لا العُصْـــبُ[5]

لَهُـمْ أبَـدَاً نَـارَانِ نَـارٌ بِهَـا الصَّـلَا ... يُلَـــذُّ، وَنَـــارٌ لا يُقَاوِمُهَـــا الهَضْـــبُ[6]

---

(١) أنهرها: أوسعها مأخوذ من النهر، والآفاق: النواحي، وهرت الحرب أي كُرهت.

(٢) صعر الرجل خده إذا أماله كبراً، واللجب: الكثير.

(٣) الأطيط: صوت يظهر عند حمل الثقل، والصلب: الظهر.

(٤) الصقب: الحوار ويقال بالسين، ويسمى العمود الذي في وسط البيت صقباً.

(٥) الدلاص: اللين البراق، والعصب برود تعمل ببلاد اليمن.

(٦) يعني بالنار الأولى: نار الضيافة، والنار الأخرى: بأسهم وشجاعتهم وشدتهم في الحرب.

وَأَيَّـــامُهُمْ يَومَـــانِ يَـــومٌ لِنَائِـــلٍ تَقُـولُ ذَوُو الحَاجَـاتِ مِـنْ فَيضِـهِ حَسْـبُ
وَيَـومٌ تَقُـولُ الخَيـلُ وَالبِـيضُ والقَنَـا – بِـهِ– وَالعِدَى: قَطْنَـا فَـلا كَانَـتِ الحَـرْبُ[1]
وَإِنْ ضُـنَّ بِالعِـدَّانِ كَـانَ قِـرَاهُمُ سَـدِيفُ المَتَـالِي، لَا عَتُـودٌ وَلَا وَطْـبُ[2]
أُوْلَئِـكَ قَـومِي حِـينَ أَدْعُـو وَأُسْـرَتِي وَتُنْجِبُنِـي مِـنْهُمْ شَـرَامِحَةٌ غُلْـبُ[3]

يجري الشاعر حوارًا بينه وبين فتاة لا يعرفها ولا تعرفه، سألته عن وطنه وأهله وحسبه ونسبه، فأجابها إجابة وافية، حيث تحدث عن آبائه وأجداده، مستعرضًا بطولاتهم وأصالة ملكهم وحسن أخلاقهم، وشجاعتهم وشدة بأسهم، يضحون بأرواحهم ويبذلون أموالهم من أجل نصرة جيرانهم وحلفائهم، فليس لمحبهم إلا المودة والوفاء، ولا لعدوهم إلا السيف وإراقة الدماء.

لقد طالت أنفاس شاعرنا حين تحدث عن مجد الآباء والأجداد، حتى غلب على شعره، ويرجع السبب في ذلك – فيما نظن– لطول غربته، وعيشه بين أناس لا يعرفوه، يسألونه عن حسبه ونسبه، وربما استهان به البعض وظنوا أنه وضيع النسب، فخرجت من صدره صرخة مدوية منبعثة من الأعماق، تهز أوتار القلوب وتحرك كوامن العواطف، بأنه لا يدانيه أحد في حسبه ونسبه، وأنه من قوم كرام ورثوا السؤدد ولدًا بعد والد وحفيدًا بعد جد، وقد أجاد الشاعر في استخدام تقنية الحوار، حيث ساعدته على إخراج طاقاته الشعورية، وإبراز براعته الشعرية، وبث الحركة والحيوية في أوصال النص، ومن ثم تميز النص بإقناع العقل وإمتاع الوجدان.

(١) البيض: السيوف، والقنا: الرماح، وقَطْنا أي حسبنا.
(٢) المتالي: النوق تتلوها أولادها، وسديفها شحم أسنمتها، والوطب: سقاء اللبن وجمعه وِطَاب.
(٣) الشرامحة: جمع شرمح وهو من الرجال الطويل التام، والأغلب من الرجال الغليظ الرقبة.

ويؤكد هذا المعني في أكثر من موضع، فيقول (الرمل)[١]:

وَأَنَــا ابْــنُ السَّــادَةِ الغُــرِّ الأُلَــى وَرِثُــوا المَجْــدَ جَــوَاداً عَــنْ جَــوَادِ

لَــمْ يَــزَلْ فِينَــا رَبِيــعٌ مُرْبِــعٌ وَحِمَــىً حَــامٍ، وَهَــادٍ لِرَشَــادِ

ويقول (البسيط)[٢]:

قَــومٌ إِ ذَا سَــارَتْ الأَنْبَــاءُ أَوْ كُتِبَــتْ صَــحَائِفُ المَجْــدِ كَــانُوا أَوَّلَ السَّــطَرِ

وَإِنْ هُــمُ كَتَبُــوا مَجْــداً بسُــمْرِهُمُ فَخَطُّهُــمْ بمِــدَادٍ مِــنْ دَمِ هَــدَرِ

ويقول (البسيط)[٣]:

قَــومٌ هُــمُ القَــومُ فِــي بَــأْسٍ وَفِــي كَــرَمٍ وَفِــي وَفَــاءٍ وَفِــي حِــلٍّ وَمُرْتَحَــلِ

يُمْضُونَ فِي النَّاسِ مَا قَالُوا وَغَيرُهُمُ إِنْ أَنْكَرُوا مِنْهُ بَعْضَ القَولِ لَمْ يَقُلِ

ويقول (الكامل)[٤]:

نَسْــلُ العُيُــونِيِّ الَّــذِينَ أَحَلَّهَــمْ بِفِعَالِــهِ فِــي المَجْــدِ أَشْــرَفَ مَنْــزِلِ

بِرِمَــاحِهِمْ وَصِــفَاحِهِمْ وَسَــمَاحِهِمْ وَرِثُــوا السِّــيَادَةَ آخِــرَاً عَــنْ أَوَّلِ

ويقول (الطويل)[٥]:

وَإِنِّــيَ مِــنْ قَــومٍ أُبَــاةٍ أَعِــزَّةٍ مَصَالِيتَ مَا خَامُوا قَدِيماً وَلَا خَانُوا

لِيَ النَّسَبُ الوَضَّاحُ قَدْ عَلِمَتْ بِهِ مَعَــدٌّ إِذَا عُــدَّ الفَخَــارُ وَعَــدْنَانُ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج٢، صـ٧٩٨، ٧٩٩.

(٢) السابق، ج٢، صـ٩٣٩.

(٣) السابق، ج٣، صـ١٧٣٠.

(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج٣، صـ١٧٧٧.

(٥) السابق، ج٥، صـ٢٥٥٩، ٢٥٦٠.

ويقول (البسيط)[١]:

نَحْـنُ المُلُـوكُ وَأَرْدَافُ المُلُـوكِ وَفِـي بُحْبُوحَـةِ العِـزِّ شَـادَ العِـزَّ بَانِينَـا
نَحْمِـي عَلَـى الجَـارِ وَالمَـولَى وَيَأْمَنُنَـا عَلَـى اخْـتِلافِ اللَّيَـالِي مَـنْ يُصَـافِينَا
آبَاؤُنَـا خَيْـرُ آبَـاءٍ إِذَا ذُكِـرُوا كَـانُوا المَشَـاوِذَ، وَالنَّـاسُ التَّسَـاخِينَا

فكل النماذج السابقة وغيرها[٢] على وتيرة واحدة، حيث الاعتداد العام بالحسب والنسب والملك الأصيل والمجد الأثيل، والكرم العتيق والعز الوثيق، وتجاوز الأخطار وعدم الفرار ولو في وسط النار، من دون تعيين أسماء ولا تحديد أشخاص، ولا تمييز أماكن ولا حكاية أحداث.

ومن صور نماذج الفخر بالنسب أيضًا، ما يذكر فيه الآباء الأجداد والأعمام بألقابهم وأسمائهم، مشيدًا ببطولاتهم وعدالتهم وكريم أخلاقهم، ومن ذلك قوله (الوافر)[٣]:

أَنَـا ابْـنُ النَّـازِلِينَ بِكُـلِّ ثَغْـرٍ كَفِيـلٍ بالضِّـرَابِ وَبِالطِّعَـانِ
نَمَـانِي مِـنْ رَبِيعَـةَ كُـلُّ قَـرْمٍ هِجَـانٍ جَـاءَ مِـنْ قَـرْمٍ هِجَـانِ[٤]
أَبِـي مَـنْ قَـدْ عَلِمْـتَ، وَكَيـفَ يَخْفَـى بضَـاحِي شَـمْسِ يَـومٍ إِضْـحِيَانِ
سَـلِ العُلَمَـاءَ يَـا ذَا الجَهْـلِ عَنْـهُ وَنَـارُ الحَـرْبِ سَـاطِعَةُ الـدُّخَانِ
غَـدَاةَ كَفَـى العَشِـيرَةَ مَـا عَنَاهَـا بعَزْمَـةِ مَاجِـدٍ كَـافٍ مُعَـانِ
وَقَـدْ كَثُـرَ التَّعَـازِي فِـي أُنَـاسٍ حِـذَارَ المَـوتِ مِـنْ بَعْـدِ التَّهَـانِي

(١) السابق، ج٥، صـ٢٦٧٩، ٢٦٨٠.

(٢) ينظر: السابق، ج١، صـ٤٨٤، ج٢، صـ٩٧٥- ٩٧٩، ج٢، صـ١١٠٧- ١١١١، ج٣، صـ١٨٢٥- ١٨٢٦ وغيرها.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج٥، صـ٢٧٦٧- ٢٧٨٣.

(٤) القرم: السيد، والهجان: الكريم، وهجان كل شيء خياره.

فَعَمَّـــتْ تِلْكُـــمُ النَّعْمَـــاءُ مِنْـــهُ نِـــــزَارِيَّ الأُبُـــــوَّةِ وَاليَمَـــــانِي
وَيَـومَ عَـلا بــ (جَرْعَـاءِ المُصَـلَّى) عَجَـاجٌ غَـابَ فِيـهِ (المَسْـجِدَانِ)[1]
أَلَـمْ يَلْـقَ الـرَّدَى مِنْـهُ بِقَلْـبٍ عَلَـى الأَهْـوَالِ أَثْبَـتَ مِـنْ أَبَـانِ
عَشِـيَّةَ (عَـامِرٌ) وَ (بَنُـو عَلِـيٍّ) كَـدُفَّاعِ السُّـيُولِ مِـنَ الرِّعَـانِ
وَعَمِّـي التَّـارِكُ البَطَـلَ المُفَـدَّى كَمُشْـتَمِلٍ قَطِيفَـةَ أَرْجُـوَانِ
وَجَـدِّي الحَاشِـرُ الحَـامِي التَّـوَالِي وَوَهَّـابُ السَّـوَابِقِ وَالقِيَـانِ
إِذَا مَـا سَـارَ تَحْـتَ الشِّـتْرِ أَنْسَـى جَلالَـةَ قَيْصَـرٍ وَالهُرْمُـزَانِ[2]
وَفِـي يَـدِهِ سِـوَارُ المُلْـكِ يَزْهَـى بِمِعْصَـمِ مَاجِـدٍ سَـبْطِ البَنَـانِ
وَكَـمْ لِـي وَالِـدٌ لَا عَبْـدُ شَـمْسٍ يُوَازِيـهِ وَلَا عَبْـدُ المَـدَانِ
لَنَـا عَقْـدُ الرِّئَاسَـةِ فِـي (مَعَـدٍّ) يُقِـرُّ لَنَـا بِـهِ قَـاصٍ وَدَانِـي
نَقُـودُ النَّـاسَ طَوعَـاً وَاقْتِسَـارَاً بِـرَأْيٍ قَـدْ أُدِيـرَ أَو اعْتِشَـانِ[3]
وَأَبْـيَضَ قَـدْ خَضَـبْنَا البِـيضَ مِنْـهُ بِـأَحْمَرَ مِـنْ دَمِ الأَودَاجِ قَـانِي
وَرَأسٍ قَـدْ عَقَقْنَـا الـرَّأْسَ مِنْـهُ بِـأْبْيَضَ كَالعَقِيْقَـةِ هُنْـدُوَانِي
وَبَاحَـةِ عِـزٍّ جَبَّـارٍ أَبَحْنَـا بِعَشَّـاتِ القَنَـا لَا بِالعِشَـانِ[4]

(١) جرعاء المصلى: مكان يخرج إليه السلطان ومواكبه بجميع زينته وجنده وخيله ورجله يوم العيدين وجميع أهل البلد، فيصلون صلاة العيد، ويخطب فيه الخطيب، ويظْهِر فيه زينة جميع أهل البلد، وتسمى تلك الجرعاء أيضاً المنظرة، والمسجدان يعني مسجد المصلى والمسجد المعروف بمسجد الجمل، نسب إلى قيمه ومؤذنه، وقيمه كان يسمى الجمل.

(٢)الشتر: المظلّة التي ترفع على رأس السلطان في موكب العيد، وقيصر: ملك الروم، والهرمزان: ملك فارس.

(٣) الاعتشان: أن يعمل الرجل برأيه لوقته من غير روية ولا تشاور.

(٤) القنا: الرماح، والعشات منه الدقاق، والدقة مما يحمد في الرماح، والعشة من النساء القليلة =

يَعِـيشُ النَّـاسُ مَـا عِشْـنَا بخَيـرٍ وَتَحْيَـا مَـا حَيِينَـا فِـي أَمَـانِ
فَـإِنْ نُفْقَـدْ فَـلا أَمَـلٌ لِـرَاجٍ يُؤَمِّلُـهُ، وَلا عَـونٌ لِعَـانِي
وَهَـلْ يُغْنِـي غَنَـاءَ المَـاءِ آلٌ يُرَيِّعُـهُ الهَجِيـرُ بصَحْصَـحَانِ ؟(١)
وَلَا كَالسَّـيفِ لَـو صَـدِئَتْ وَفُلَّـتْ مَضَـارِبُهُ عَصَـاً مِـنْ خَيـزُرَانِ(٢)

فقد تحدث شاعرنا عن أبيه وعمه وجده ، وكيف كانوا حماة للبلاد من الأخطار، يتصدرون المشاهد ولا يخشون لهيب النار، ثابتين ثبات الجبال الراسيات، مستجمعين أنفسهم حين تطيش العقول في صليل السيوف ومزاحف الصفوف، وصليل الخيول وكر وفر الفرسان والفحول في معارك الموت، وأنهم كانوا يملكون معاقد المجد ومجامع العز، ومع ذلك يسوسون الناس برحمة وعدل ولين ورفق، ينتصرون للضعيف من القوي وللمظلوم من الظالم، يحكمون بالعدل فلا يبغون ولا يجورون ولا يتكبرون ولا يتجبرون، ومن ثم أحبهم الناس ورأوا فيهم الخلاص من تسلط الجبابرة عليهم، وتيقنوا أنه لا ملاذ ولا منجى لهم من كيد أعدائهم إلا بمبايعتهم، ولا مخرج لهم من الأزمات والأخطار التي تُحْدِق بهم من جميع الأقطار إلا بطاعتهم ومناصرتهم، وهم لذلك أهل وبه أحق.

=

اللحم، والعشان: سعف النخل الواحدة عشانة، وأهل البحرين يستعملونه للحرب يقاتل به أكثرهم يبرون أسفل السعفة بعد أخذ الخوص عنها ويزرقون بها فتخرق وتقتل.

(١) الآل: السراب، وتريعه: مجيئه وذهابه، يقال: تريع السحاب إذا جاء وذهب، والصحصحان: المستوي من الأرض.

(٢) الصدأ: الطبع الذي يعلق بالسيف، وهو الوسخ، ومضارب السيف نحو من شبر من طرفه، وفل السيف إذا انكسر حده وتثلم، والخيزران: نبات لين القضبان أملس العيدان، والخيزران: كلّ عود يتثنى.

وفي قصيدة أخرى تعد في أشعاره من الفرائد، وفي ديوانه من القلائد؛ لما اشتملت عليه من درر الفوائد، حيث يوثق فيها جزءًا كبيرًا من تاريخ الدولة العيونية، ذكر فيها كثيرًا من ملوكها بأسمائهم وأهم أعمالهم وأعظم صفاتهم، وما اشتهروا به من مآثر جمة ومفاخر عطرة، مما يجعلها سجلًا تاريخيًا حافلًا، وقد طال فيها نفسه فبلغت مائة وخمسين بيتًا، في ألفاظ جزلة رصينة، ولغة رائقة متينة، في أسلوب متناسق متناغم يسيل على لسانه شعرًا دون عناء أو تكلف، ومن ثم لا نكاد نلمس فيها على طولها لغوًا ولا حشوًا، ومما جاء فيها من أسماء بعض الملوك و الحكام، قوله (البسيط)[1]:

وَلَـمْ نَـزَلْ نَـرِدُ الهَيجَـاءَ يَقْـدُمُنَا ... مَـاضٍ عَلَـى الهَـولِ وَرَّادٌ إذَا عَزَمَـا

أبُو عَلـيٍّ، وَفَضْلٌ ذُو النَّدَى، وَأبُو ... مُسَـيَّبٍ وَهُمَـا تَحْـتَ العَجَـاجِ هُمَـا

وَمِسْعَرُ الحَرْبِ مَسْعُودٌ إذَا خَمَدَتْ ... وَمَاجِـدٌ وَابـنُ فَضْـلٍ خَيْرُهَـا شِـيَمَا

هُـمُ بَنُـوهُ فَـلا مِيـلٌ وَلاْ عُـزُلٌ ... وَلَا تَـرَى فِـيهِمُ وَهْنَـاً وَلا سَـأَمَا

كُـلٌّ يُعَـدُّ لِأَلْـفٍ لَا يَضِـيقُ بِهَـا ... ذَرْعَـاً وَيُوسِـعُهَا طَعْنَـاً إذَا أَضِـمَا

وَمَالِـكٌ حِـينَ تَـدْعُوهُ فَـأَيُّ فَتَـى ... حَـرْبٍ إذَا مَـا الْتَقَـى الزَّحْفَـانِ فَاصْطَدَمَا

وَمِنْ بَنِي الشَّيخِ عَبْدِ اللهِ كُلُّ فَتَىً ... يُخَـالُ فِـي الرَّوعِ فَحْلَ الشَّـولِ مُغْتَلِمَـا[2]

يُنْمَـى لِفَضْـلٍ وَضَـبَّارٍ وَإخْوَتِهَـا ... بَنِـي عَلِـيٍّ كِعَـامِ الخَطْـبِ إنْ هَجَمَـا

وَلَـمْ يَكُـنْ وُلْـدُ غَسَّـانٍ إذَا حَمِيَـتْ ... لَـوَافِحُ الحَـرْبِ أَنْكَاسَـاً وَلَا قُزُمَـا[3]

تِلْكُـمْ بُنَـاةُ العُـلا لَا قَـوْلُ مُنْتَحِـلٍ ... كُنَّـا وَكَـانَ، وَلَا بَاعَـاً وَلَا قَـدَمَا

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج٤، صـ٢١٥٠- ٢١٦٩.

(٢) الشول: الإبل التي قد شولت ألبانها وخفت بطونها وضروعها فارتفعت كما ترتفع كفة الميزان، وذلك بعد ما يأتي عليها سبعة أشهر من نتاجها، والمغتلم: البعير الهائج.

(٣) الأنكاس: الضعفاء، وقُزُمُ كلِّ شيء: رُذَّاله.

سَقَوا صُدُورَ القَنَا عَلاًّ وَقَدْ نَهِلَتْ وَأَكْرَهُوا المَارِنَ الخَطِّيَّ فَانْحَطَمَا[١]

وَفَلَّلَ البيضَ فِيْ الهَامَاتِ ضَرْبُهُمُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْهَلُوهَا فِي المَكَرِّ دَمَا

بَزُّوا ثَمَانِينَ دِرْعَاً مِنْ سُرَاتِهُمُ فِي حَمْلَةٍ تَرَكَتْ هَامَاتِهِمْ رِمَمَا

وَكَمْ لَهُمْ مِثْلِهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً إِلَّا الزَّعَانِفَ وَالأَطْفَالَ وَالحُرَمَا[٢]

وتأسيسًا على ما تقدم يمكننا الإقرار بأن اعتداد شاعرنا بالحسب والنسب بدا ظاهرًا من خلال صورتين، الأولى: الاعتداد العام، حيث يفخر بالنسب عامة من خلال الحديث عن البطولات والمعارك والملك الخالص والأخلاق الفاضلة وغيرها، من غير تخصيص لشخصية بعينها، والآخرة: الاعتداد الخاص، حيث الحديث عن شخصية أو عدة أشخاص مع ذكر مآثرهم وأفضالهم وأخلاقهم ...الخ.

لقد تجلت صورة اعتداد شاعرنا بنسبه وحسبه واضحة في أغلب قصائد الديوان، ومما زادها جمالًا وجلالًا ما حملته في طياتها من شحنات متلاحمة وطاقات متلازمة، أبرزها صدق العاطفة وعمق الشعور وقوة الإحساس ورصانة الأفكار وبراعة التصوير وروعة البيان، مما جعلنا نؤكد أنه بذَّ أقرانه وكثيرًا من المتقدمين في هذا الباب، مما يدل على سعة أفقه ووفور إحاطته ودرايته بتاريخ بلاده وحكامها، على أنه لم يكن في اعتداده متعاليًا ولا متعصبًا ولا متعسفًا، إنما كان معتدلًا منصفًا.

(١) العلّ: السقي بعد السقي الأول، والنهل: الري، والمارن من الرماح: اللين، وانحطم: انكسر.

(٢) الزعانف من ا لناس: أراذلهم، والحرم: النساء.

المبحث الثالث: الاعتداد بالشاعرية

تبوأ الشعر في حياة العرب منذ القدم مكانًا مرموقًا، ومنزلًا ساميًا، حتى عدوه ديوانهم الذي يحفظ بطولاتهم، والسجل الذي يحوي أخبارهم وتاريخهم، ومن ثم كانوا يصغون إليه ويحفظونه ويكبرونه في أنفسهم، ويعرفون للشعر فضله ويقدرونه حق قدره، "فمن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه، وينسبه إلى أمه، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقل السوقة، فلا ينكر ذلك عليه، بل يراه أوكد في المدح، وأعظم اشتهارًا للممدوح، كل ذلك حرص على الشعر، ورغبة فيه، ولبقائه على مر الدهور واختلاف العصور"(١).

لقد عرف العرب للشاعر قدره ومنزلته، فجعلوه في مكانة الفارس والحاكم والخطيب وغيرهم من السادة، وذلك لأن الشاعر لسانهم المدافع عن أحسابهم والمنافح عن أعراضهم والمخلد لذكرهم، ومن ثم "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"(٢).

إذا كان الشعر والشعراء لهم تلك القيمة العالية في المجتمع العربي بأكمله، فلا عجب أن تفخر القبيلة على غيرها بشعرائها، وتنشد شعر شعرائها حتى يبلغ الآفاق، حتى الشعراء أنفسهم أخذوا يفخرون على الناس بشعرهم، ويتباهون بفصاحة ألسنتهم وحسن نظمهم وبراعة أشعارهم، حتى ملأت شهرتهم الآفاق

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي بن الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، شوال ١٣٧٤هـ/ يونيه ١٩٥٥م، ج١، صـ٢٢.

(٢) السابق، صـ٦٥.

وبلغوا بشعرهم عنان السماء، فالشاعر في نظر نفسه وغيره "شخصية متميزة بجوهرها وأبعادها وإمكاناتها، اختزن تجارب ذاتية، كونت شخصيته بفضل سعيه في هذا الوجود، بين بيئة ومجتمع. وهو إذ يندفع إلى التعبير الفني، إنما يندفع بالفعل، إلى التعبير عن نفسه، وعما يخالجها من ألوان المعاناة، والتماعات الخواطر والمشاعر"(١).

لقد أوتي ابن المقرب من فصاحة اللسان والقدرة على الإبانة والبيان ما جعله يبذُّ أقرانه جميعًا، حيث ظهرت براعته الشعرية في بواكير حياته، فبرع في الشعر صغيرًا وتفوق فيه كبيرًا، فهو "علم من أعلام الشعر العربي، وفحل من فحوله المبرزين، الذين رفعوا لواءه في عصر تصدعت فيه دولة البيان، وتداعى فيه صرح الشعر، وأفل فيه نجم الأدباء والشعراء– وهو القرن السابع الهجري– حتى لقد أصبح الشاعر المجيد غير موجود، فهو قد نشأ وعاش في أرض الجزيرة العربية في ربوع البحرين، وهي أرض كان الشعر الجيد الرصين قد هجرها منذ زمن بعيد، فلم تعد صعيدًا لفحول الشعراء، ولهذا فإن عصر ابن المقرب عصر أفقر من الشعراء الحقيقين، فلم يكن هناك يومذاك شاعر يلفت النظر ويسترعي الانتباه مثل ابن المقرب"(٢)، ومن ثم اعتد بشاعريته على عادة من سبقوه من الشعراء، فاحتفى بشعره وعده من القلائد الفاخرة والفرائد النادرة، وأقر لنفسه بالتميز والتفوق على شعراء عصره وزمانه من غير منازع.

ومن النماذج التي اعتد فيها بشاعريته، وافتخر بأنه صاحب مكانة في الشعر لا تخفى على ذي علم به، قوله (البسيط)(٣):

---

(١) الفن والأدب: بحث جمالي في الأنواع الأدبية والفنية، د/ ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨١م، صـ٣٧.

(٢) ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٣٩.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٧٠٥– ١٧٠٩.

يَـا لَيـتَ شِـعْرِيَ وَالأَنْبَـاءُ مَـا بَرِحَـتْ ... تُسَـايِرُ الـرِّيحَ بالأَسْـحَارِ وَالأُصُـلِ
هَلْ جَاءَ قَومِي وَأَخْدَانِي الَّذِيْنَ هُمُ ... - إنْ أُرْمَ- مِـنْ قِبَـلِ الـرَّامِينَ لَا قِبَلِـي
بِـأَنَّنِي لَـمْ أَرِدْ وِرْدَاً أُعَـابُ بِـهِ ... وَلَـمْ أَقِـفْ ذَاتَ يَـومٍ مَوقِـفَ الخَجَـلِ
كَسَوتُ قَـومِيَ وَالبَحْـرَينَ ثَـوبَ عُـلاً ... يَبْقَـى جَدِيـداً بَقَـاءَ الحُـوتِ وَالحَمَـلِ
لَقَـدْ تَقَـدَّمْتُ سَـبْقاً مَـنْ تَقَـدَّمَنِي ... سِـنَّاً وَأَدْرَكَ شَـأْوِي فَـارِطَ الأُوَلِ[1]
بِـذَاكَ قُـدْوَةُ أَهْـلِ العِلْـمِ قَاطِبَـةً ... (أَبُو البَقَاءِ مُحِبُّ الدِّينِ) يَشْهَدُ لِي[2]
هُـوَ الإِمَـامُ الَّـذِي كُـلٌّ لَـهُ تَبَـعٌ ... مِـنْ كُـلِّ حَـافٍ عَلَـى الـدُّنْيَا وَمُنْتَعِـلِ
فَمَـا (الخَلِيـلُ) لَـهُ نِـدٌّ يُقَـاسُ بِـهِ ... وَهَـلْ يُقَـايَسُ بَـينَ البَحْـرِ وَالوَشَـلِ[3]
وَبَعْـضُ غِلْمَانِـهِ يَكْفِـي فَكَيـفَ بِـهِ ... مُهَـذَّباً لَـمْ يَحِـفْ جَـوراً وَلَـمْ يَمِـلِ
وَلَـمْ يَقُلْ وَحْـدَهُ مَـا قَـالَ بَـلْ شَـهِدَتْ ... بِـهِ الأَفَاضِـلُ مِـنْ بَغْـدَادَ عَـنْ كَمَـلِ
وَلَيسَ فِي الشِّعْرِ مِنْ فَضْلٍ يَطُولُ بِهِ ... مِثْلِـي وَلَـو فَـاقَ أَعْلَـى سَبْعِهَا الطُّـوَلِ
بَـلْ فَضْـلُ مِثْلِـيَ أَنْ يَسْـمُو بِهِمَّتِـهِ ... عَنْ مَدْحِ فَدْمٍ عَنِ العَلْيَـاءِ فِـي شُـغُلِ

فـي هذه الأبيات يطلق شاعرنا صرخة مدوية وزفرة حارة بلغت الآفاق واخترقت نياط القلوب، حتى أصبحت كالشمس لا يمكن حجب نورها على مر العصور واختلاف الدهور، فيعلن صراحة أنه بلغ غاية الشعر جودة وضبطًا وإتقانًا، وأنه امتطى صهوة جواد الفصاحة والبلاغة، فتقدم من عاصروه ومن سبقوه، مدعيًا أن أشعاره فاقت المعلقات السبع الطوال، ومن ثم لا يستطيع أحد

(١) الشأو: الشو ط والطلق والسبق، وشأوت القوم: سبقتهم، والفارط: السابق.

(٢) محب الدين: لقب أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ، إمام علم أهل العربية من أهل بغداد وغيرها، وكان ثقة صدوقاً، غزير الفضل، كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، متديناً، حسن الأخلاق، لم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه.

(٣) يعني: الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين، والوشل: الماء القليل.

منافسته، ولا يقدر أحد على مباراته ومساجلته، ومن أجل إقناع المطالع له أورد الدليل القاطع والبرهان الساطع على صدق كلامه وصحة ادعائه، فيسجل شهادة من أحد أكبر علماء اللغة في بغداد وغيرها، وهو أبو البقاء العُكْبَرِيّ حيث شهد له بالضبط والإتقان والتميز والافتنان.

وقد بلغ شاعرنا درجة من الاعتداد بشعره جعلته يصرح بأن من سبقوه من فحول الشعراء لو استمعوا لشعره لوقفوا له إجلالًا واحترامًا، ولاستنهض هممهم لقرض شعر رصين مثله، لكن لن يتأتى لهم ذلك فهو بمثابة معجزة لم يسبق لها وجود في الماضي ولن تتكرر في المستقبل، ومن ذلك قوله (الكامل)[١]:

وَإِلَيكَ مِنْ دُرِّ الكَلَامِ جَوَاهِرَاً يُعْيِي الفَرَزْدَقَ نَظْمُهَا وَمُزَرِّدَا

وقوله (الوافر)[٢]:

فَدُوْنَكَ عَذْبَةَ الأَلْفَاظِ جَاءَتْ بِنُورٍ سَاطِعٍ يَغْشَى البِلَادَا
تُرِيكَ سُطُورُهَا وَاللَيلُ دَاجٍ فَرِيدَ الدُّرِّ مَثْنَى أَو فُرَادَى
لَوِ اجْتَازَتْ بسَامِعَتَي جَرِيرٍ لَقَامَ لَهَا جَلَالاً وَاسْتَعَادَا

وقوله (الوافر)[٣]:

وَلِي بفَصَاحَةِ الأَلْفَاظِ قُسٌّ يُقِرُّ وَدُغْفُلٌ وَالأَعْشَيَانِ

وقوله (الطويل)[٤]:

وَدُوْنَكَهَا يَا ابْنَ النَّبِيِّ غَرِيبَةً تُخَبِّرُ أَنَّ العَائِبيهَا هَلَابِثُ
جَمَعْتُ بِهَا سِحْرَ الكَلامِ الَّذِي اخْتَفَى قَدِيمَاً، فَلَمْ يَنْفُثْ بِهِ قَبْلُ نَافِثُ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ٧٨٦.
(٢) السابق، ج٢، صـ٨٢١.
(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٥، صـ٢٧٥٩.
(٤) السابق، ج١، صـ٥٢٩.

ويقرر شاعرنا أنه على علو قدره وجودة شعره يترفع عن جعله بضاعة رخيصة يتكسب من ورائها الأموال، فلم يكن أبدًا ممن يمدحون من لا يستحقون المدح من الأراذل والسفهاء والجهلاء وغيرهم طمعًا في نوالهم واستجداءً لعطاياهم، ولا من أولئك الذين يهجون الناس تشفيًا وانتقامًا منهم، ومن ثم صرف جل مدائحه في بني عمه من حكام البحرين حبًا فيهم، وطلبًا لرضاهم عنه والسماح له بالعودة إلى وطنه ووضعه في المكانة اللائقة به، ورد بعض أمواله وضياعه إليه، وما يزال يؤكد على هذا المعنى في كثير من قصائده وأشعاره، ومن ذلك قوله (الطويل)(١):

نظَمْتُ لَهُ مَدْحِي وَمَا جِئْتُ طَالِبَاً ... نَدَاهُ، وَلَا مُسْتَمْطِرَاً مِنْ سَحَابِهِ
وَلَكِنْ هَزَّتْنِي لِذَاكَ ارْتِيَاحَةٌ ... وَعُجْتُ لِمَحْمُودِ الثَّنَا مُسْتَطَابِهِ
عَلَى أَنَّهُ البَحْرُ الَّذِي لَا مَذَاقُهُ ... أُجَاجٌ، وَلَا يَجْرِي القَذَى مِنْ عُبَابِهِ
لَأَنَّ عُبَابي دَفْقَةٌ مِنْ عُبَابِهِ ... وَهَضْبَةُ عِزِّي تَلْعَةٌ مِنْ هِضَابِهِ
وَآبَاؤُهُ الغُرُّ الكِرَامُ أُبُوَّتِي ... وَآسَادُ غَابِي مِنْ رَآبِيلِ غَابِهِ
وَلَيسَ يَلِيقُ المَدْحُ إِلَّا بِسَيِّدٍ ... مُهِينٍ لِغَالِي مَالِهِ مِنْ طِلابِهِ
إِذَا قَالَ فِيهِ مَادِحٌ قَالَ سَامِعٌ ... صَدَقْتَ، وَلَمْ يَصْدُقْ فَتَىً باغْتِيَابِهِ

وقوله (الطويل)(٢):

وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي عَنْ مَدِيحِي مُذَمَّمَاً ... بِكُلِّ قَبِيحٍ بَشَّرَتْنَا قَوَابِلُهْ
وَلَولَاكَ لَمْ أَنْبِسْ بِبَيتٍ وَلَو طَمَى ... مِنَ الشِّعْرِ بَحْرٌ يُرْدِفُ المَوجَ سَاحِلُهْ
وَلَكِنَّ لِي فِيكُمْ هَوَىً وَقَرَابَةً ... تُحَرِّكُنِي، وَالرَّحْمُ يُحْمَدُ وَاصِلُهْ
وَإِنِّي لَأَشْنَا المَدْحَ فِي غَيرِ سَيِّدٍ ... أَبُوهُ أَبِي لَو زَاحَمَ النَّجْمَ كَاهِلُهْ

(١) السابق ، ج١، صـ٤٦٩- ٤٧٠.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٤٠٠- ١٤٠١.

وكذلك قوله (الطويل)[١]:

وَلَسْـــتُ بِمُهْـــدٍ لِلرِّجَـــالِ مَـــدَائِحِي وَإِنْ قَـــلَّ مَـــالٌ أَو تَغَيَّـــرَ حَـــالُ
وَلَكِـــنَّ نُعْمَـــى حَرَّكَتْنِـــي وَصُـــحْبَةٌ وَوُدٌّ، وَهَـــذَا لِلْكَـــرِيمِ صِـــقَالُ

ونلاحظ أن من السمات البارزة عند شاعرنا، إعجابه الشديد بقصائده في نهاياتها، وعدها من اللآلئ الثمينة والدرر اليتيمة والجواهر القيمة والتحف الفنية الفريدة، ولعل السبب في ذلك كون النهاية آخر ما يعلق بذهن القارئ، ونهاية ما يقرع سمعه، وكذلك فالنهايات أدوم خلودًا وأبقى أثرًا وأعظم تأثيرًا في السامعين، ومن ثم يتغنى فيها بشاعريته ويزهو بموهبته وعبقريته، ومن ذلك قوله (البسيط)[٢]:

إِلَيكَ جَوهَرَةً مِنْ طَبْعِ قَائِلِهَا تَبْقَـى عَلَـى غَـابرِ الأَزْمَـانِ وَالحُقُـبِ[٣]
يُقَـالُ لِلْمَـدَّعِي شِـعْراً يُعَادِلُهَـا كَـذَبْتَ مَـا الضَّـرَبُ الطَّلْحِـيُّ كَالضَـرَبِ[٤]

وقوله (الكامل)[٥]:

وَغَرِيـبُ نَظْـمٍ فَـاقَ أَشْـعَارَ الـوَرَى فِـيكُمْ بسَـاحَةِ كُـلِّ أَرْضٍ يُنْشَـدُ
وَإِلَيكَهَـــا يَـــا بَـــاعَلِيٍّ مِدْحَـــةً مِـنْ فَضْـلِهَا أَنِّـي عَلَيهَـا أُحْسَـدُ
جَـاءَتْ نَسِـيجَةَ وَحْـدِهَا فِـي عَصْـرِهَا إِذْ أَنْـتَ فِـي هَـذِي البَرِيَّـةِ أَوحَـدُ

(١) السابق، ج٣، صـ١٦٢١– ١٦٢٢.
(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٤٠٧– ٤١١.
(٣) جوهرة: يعني القصيدة، شبهها بالجوهر لحسن ألفاظها ومعانيها، وقوله: (من طبع قائلها) يريد أنها في الشعر مثل قائلها في الرجال إذ لا دنس فيها كما لا دنس في أصله.
(٤) الضرب (الطلحي): الصمغ الأحمر يخرج من الطلح، والضرب (الثاني): العسل الأبيض.
(٥) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ٧٢٤.

وقوله (الطويل)[١]:

إِلَيكَ أَبَا المَنْصُورِ عِقْدُ جَوَاهِرٍ قَلَّمَسُهَا صَدْرِي، وَغَوَّاصُهُا فِكْرِي[٢]

نَفِسْتُ بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ وَسُقْتُهَا إِلَيكَ لِعِلْمِي أَنَّهَا أَنْفَسُ الذُّخْرِ

وكذلك قوله (الطويل)[٣]:

إِلَيكَ ابْنَ (شَقَّاقِ الفَوَارِسِ) مِدْحَةً تَطَاطَا لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ الكَوَاهِلُ

أَتَتْكَ كَنَظْمِ الدُّرِّ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِإِحْيَاءِ وُدٍّ لَا لِمَالٍ يُحَاوِلُ

وقوله (المتدارك)[٤]:

فَإِلَيكَ سَلِيلَ أَبِي المَنْصُو رِ عُقُودَ الدُّرِّ المُنْتَظِمِ

جَاءَتْ بِكْراً مِنْ نَظْمِ فَتَىً فِي وُدِّكَ لَيسَ بِمُتَّهَمِ

وقد يعتد شاعرنا بشاعريته في معرض العتاب على الممدوحين، الذين لا يقدرون قيمة الجواهر التي يهديهم إياها، ومن ثم لا يكافئونه عليها حق المكافأة، فلا يجد بدًا من لومهم وعتابهم وربما زجرهم وتقريعهم، وفي سياق آخر يحاول لفت أنظار قومه أنه لا يمدح بهذه الدرر غيرهم، ففي مدح غيرهم هجاء لهم، لعلهم يرجعون إلى رشدهم، ويعودون إلى صوابهم، فيدنوه منهم ويقربوه، ومن ذلك قوله (الطويل)[٥]:

وَثانِيَةً أَنِّي أَغَارُ عَلَيكُمُ إِذَا مَا جَزِيلُ النَّظْمِ سَارَتْ بِهِ الكُتْبُ

وَجَاءَ مَدِيحِي فِي سِوَاكُمْ فَيَالَهَا خُوَيجِيَةٌ يَأبَى لَهَا الماَجِدُ النَّدْبُ

(١) السابق، ج٢، صـ٨٦٠.

(٢) القلمس: البحر والبئر الكثيرة الماء.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٤٨٨- ١٤٨٩.

(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٥، صـ٢٥٤٧- ٢٥٤٨.

(٥) السابق، ج١، صـ١٤٧- ١٤٩.

هُنَـاكَ يَقُـولُ النَّـاسُ لَـو أَنَّ قَومَـهُ كِـرَامٌ لَكَانَـتْ زَنْـدُهُمْ عَنْـهُ لاْ تَكْبُـو
وإنَّ امْتِـدَاحِي غَيــرَكُمْ كَهِجَــائِكُمْ وَذلَـــكَ مِنِّـــي إنْ تحَرَّيْتَـــهُ عَتْـــبُ
وَعِنْـدِيَ مِمَّـا يَنْسُـجُ الْفِكْـرُ وَالحِجَـى سَــرَابِيلُ تَبْقَــى مَــا تَرَادَفَــتِ الحُقْــبُ
أَضِـنُّ بِهَـا عَـنْ غَيـرِكُمْ وَأَصُـونُهَا وَلَـو بُعِثَ الطَّـائِيُّ ذُو الجُـودِ أَوْ كَعْبُ

وقوله (الطويل)[١]:

فَكَـمْ سَارَ لِـي فِـي مَـدْحِكُمْ مِـنْ غَريبَـةٍ تَـرُوقُ وَأَغْلَـى الشِّـعْرِ مَهْـراً غَرَائِبُـه
بِـــلا مِنَّـــةٍ أَسْـــدَيتمُوهَا وَلَا يَـــدٍ إِلَـــيَّ وَقَـــولُ المَـــرْءِ أَسْـــوَاهُ كَاذِبُـــه

وقوله (الطويل)[٢]:

وَأُنْكِـــحُ أَبْكَـــارَ المعَـــانِي أَرَاذِلاً أَحَـــقُّ بِخَصْـــيٍ مِـــنْ يَسَـــارِ الكَوَاعِـــبِ

وقد أشار في هذا البيت إلى ندمه مدح أشخاص بمدائح مبتكرة لم يعرف لها مثيل في أشعار العرب، فلم يعيروها أي اهتمام، ومن ثم يعلن أنهم ليسوا أهلًا لمدائحه ولا يستحقونها.

وفي السياق ذاته يقول (الطويل)[٣]:

وَفُـضَّ فَمِـي إنْ لَـمْ أُسَـيِّرْ غَرَائِبَـاً تُمَـزِّقُ أَحْسَـابَاً وَتُبْـدِي مَسَـاوِيَا
يَشُـقُّ عَلَـى القَـومِ اللِّئَـامِ سَـمَاعُهَا وَيَظْهَـرُ مِنْهَـا بَعْضُ مَـا كَـانَ خَافِيَـا
فَـإِنْ عَقِلَـتْ قَـومِي لِسَـانِي بِأَرْضِـهَا فَلَـيسَ بِمَعْقُـولٍ إِذَا كُنْـتُ نَائِيَـا
سَأُرْسِـلُ مِنْهَـا بِالـدَّوَاهِي شَـوَارِدَاً تُنَبِّـهُ ذَا عَقْـلٍ، وَتُفْهِـمُ وَاعِيَـا
وَلَـو أَنَّ قَـومِي أَنْصَـفُونِي لأَطْلَقُـوا يَـدِي وَلِسَـانِي فِـيهِمُ وَالقَوَافِيَـا

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٢٩٥– ٢٩٦.
(٢) السابق، ج١، صـ٣٣٨.
(٣) السابق، ج٥، صـ٢٩٦٦– ٢٩٦٩.

وأخيرًا قوله (البسيط)[1]:

فَـآهِ مِـنْ زَفَـرَاتٍ كُلَّمَـا صَـعَدَتْ ... فِي الصَّدْرِ كَادَتْ تُوَرِّي النَّارَ فِي ضِلَعِي
يَسُوقُهَا أَسَفٌ قَدْ ثَارَ مِنْ نَدَمٍ ... يُرْبِـي عَلَـى نَـدَمِ المَغْبُـونِ مِـنْ كُسَـعِ
وَلَـيسَ ذَاكَ عَلَـى مَـالٍ نَعِمْتُ بِـهِ ... حِينَـاً، وَأَفْنَـاهُ صَـرْفُ الأَزْلَـمِ الجَـذِعِ
وَلَا عَلَـى زَلَّـةٍ أَخْشَـى عَوَاقِبَهَـا ... وَالنَّـاسُ حِزْبَـانِ ذُو أَمْـنٍ وَذُو فَـزَعِ
لَكِـنْ عَلَـى دُرَرٍ تَزْهُـو جَوَاهِرُهَـا ... فِـي عِقْـدِ كُـلِّ نِظَـامٍ غَيـرِ مُنْقَطَـعِ
تَوَّجْتُهَـا مَعْشَـرَاً لا أَبْتَغِـي عِوَضَـاً ... مِنْهَـا، وَإِنِّـيَ فِـي قَـومِي لَـذُو فَنَـعِ
وَكُنْتُ أَولَى بِهَا مِنْهُمْ وَكَمْ مِنَنٍ ... ضَـاعَتْ وَمَـا فَائِـتٌ يَمْضِـي بِمُرْتَجَـعِ
وَغَرَّنِـي مِـنْهُمُ لَفْـظٌ خُـدِعْتُ بِـهِ ... وَالنَّـاسُ مَـا بَـيْنَ مَخْـدُوعٍ وَمُخْتَـدِعِ
فَلَو تَكُونُ إِلَى الأَصْدَافِ نِسْبَتُهَا ... لَكَـانَ لِـي كَـرَمٌ يَنْهَـى عَـنِ الهَلَـعِ
لَكِنَّهَا الجَـوهَرُ الطَّبْعِيُّ قَدْ أَمِنَتْ ... مِـنَ التَّشَـظِّي مَـدَى الأَيَّـامِ وَالطَّبَـعِ

وبعد هذا العرض نستطيع الإقرار بأن اعتداد ابن المقرب بشاعريته واضحة بارزة في كثير من قصائده، وقد تجلت تلك الظاهرة في صور مختلفة، منها: الشهادة الصريحة بعلو كعبه في عالم القريض، مع إيراد شهادة لبعض علماء اللغة بتميزه، ومنها: ادعاؤه أن كبار الشعراء من مختلف العصور السابقة لو استمعوا لأشعاره فلن يجدوا بدًا من الوقوف إجلالًا واحترامًا من قرط فصاحته وبلاغته، ومنها: ترفعه عن مدح غير المستحقين، حيث يضن بفرائده أن توهب للخبثاء والجبناء والأراذل، ومنها: إعجابه الشديد بقصائده في نهاياتها، وكأنه يترفع بها على إخوانه ويبذُّ بها أقرانه، ومنها: عتابه على الممدوحين الذين لا يعترفون بفضله ولا يوفونه حقه ولا يقدرونه حق قدره، فيذكر أنه مدحهم

(١) السابق، ج٢، صـ١١٢٦- ١١٢٩.

بغرائب مبتكرة، في حين أنهم صموا أذانهم عن سماع صيحاته، وغضوا أبصارهم عن رؤية حالة، فامتنعوا عن تحقيق رغباته وتلبية حاجاته.

لقد كان شاعرنا يعلم لنفسه قدرها وينزلها منزلتها وإن هانت على الناس، ومن ثم اعتد في كثير من نظمه بعبقريته الشعرية متحديًا غيره من الشعراء، ومذكرًا لجاحد تفوقه ومنكر تقدمه، ولم يخرج شاعرنا في ذلك عن حد الاعتدال والإنصاف، من غير إسراف ولا شطط ولا مبالغة.

المبحث الرابع: الاعتداد بالأخلاق الكريمة

عاش الإنسان العربي في العصور الجاهلية الأولى حياة جافة خشنة، أثرت بدورها على شخصيته وأخلاقياته، ومن ثم نشأ العربي في تلك البيئة جافي الطبع ضيق الخلق، شديد الباس صعب المراس، شديد الشكيمة صعب العريكة، كأنه قُدَّ من صخر وطبع من جلمود، لكن المجتمع العربي بطبيعته القاسية كان يتطلب من أهله التواصل والتعاون والترابط فيما بينهم؛ ليتمكنوا من التغلب على صعوبات الحياة ومواجهة أخطارها، ولكن أنى لهم التواصل بتلك الأخلاق الدنيئة والصفات الرديئة، ومن ثم قاموا بتوطين أنفسهم على التمسك ببعض الأخلاق الكريمة والشمائل الحميدة، وتربوا عليها جيلًا بعد جيل، حتى صارت أخلاقًا موروثة، يفخر بها العربي ويتغنى بها في شعره، "ويبين لنا الشعر الجاهلي، في كثير من مواضعه، أن العرب كانت لهم أخلاق شاعت بينهم، وتقبلوها سلوكًا يسيرون عليه، ودعا بعضهم بعضًا إلى الأخذ بها، والاهتداء بنبراسها ولعلهم كانوا من أوائل الأمم التي اعتدت بمكارم الأخلاق، وافتخرت بفضائل الخلال"(١).

لقد أصبحت الأخلاق الكريمة علمًا على العرب وسمة بارزة من أخص سماتهم، فاتصفوا بالكرم وإكرام الضيف ونجدة المظلوم والوفاء بالعهود والصبر على الخطوب وغيرها من المكارم والأخلاق، حتى جاء الإسلام وأكد على التحلي بتلك الخلال وجعلها قربة إلى الله تعالى، وطاعة يثاب عليها.

وإذا تتبعنا شعر ابن المقرب وقلبنا النظر فيه للوقوف على المواطن التي اعتد فيها بفاضل أخلاقه وحسن آدابه وجميل شمائله ومحمود خصاله، لوجدناها تتردد في ثنايا نظمه محملة بعبق العروبة ونسائم الأرومة، مما يؤكد على شرف الأصل وطِيْبِ الطبع ، ومن أبرز تلك المكارم وضوحًا وكثرة خلق الصبر، ولعل

(١) الإنسان في الشعر الجاهلي، د/ عبد الغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، صـ١٨٥.

السبب في ذلك ما مر به من ظروف قاسية ورياح عاتية، من سجن ومصادرة أموال وغربة عن الأهل والوطن، لكنه على كثرة الخطوب وشدتها كان صبورًا جلدًا، قويًا صلدًا، لا تلين قناته ولا ينثني عزمه.

يصور نوائب الدهر وحوادثه التي ألمت به، فيقول (الطويل)[١]:

أَفِـي كُـلِّ يَـومٍ لِلْخُطُـوبِ أصَـالِي ... أَلَا مَـا لِأَحْـدَاثِ الزَّمَـانِ وَمَـالِي
يُفَجِّعْنَنِـي فِـي كُـلِّ حِـينٍ يَمُـرُّ بِـي ... بِـأَنْفَسِ مَـالٍ أَو بِأَشْـرَفِ آلِ
أَرَى الشَّـرَّ قُـدَّامَاً وَخَلْفَـاً وَأَتَّقِـي ... نِبَـالَ الأَذَى عَـنْ يَمْنَـةٍ وَشِـمَالِ
إِذَا قُلْـتُ جَلَّـى بَعْـضُ هَمِّـي أَتَـتْ لَـهُ ... نَوَائِـبُ أَمْضَـى مِـنْ حُـدُودِ نِصَـالِ
كَـأَنَّ الرَّزَايَـا وَالمَنَايَـا تَحَالَفَـا ... عَلَـى عَكْـسِ آمَـالِي وَبَـتِّ مَـآلِي

وفي موضع آخر يقول (الطويل)[٢]:

أَبَـتْ نُـوَبُ الأَيَّـامِ إِلَا تَمَادِيَـا ... فَوَاشِـقْوَتَا مَـا لِلَّيَـالِي وَمَالِيَـا؟
إِذَا قُلْـتُ يَومَـاً حَـانَ مِنْهَـا تَعَطُّـفٌ ... رَأَيـتُ رَزَايَاهَـا تَسَـامَى كَمَـا هِيَـا

وفي ذات السياق يقول (الطويل)[٣]:

أُقَضِّـي نَهَـارِي بِـالزَّفِيرِ وَأَنَّـةٍ ... وَأَقْطَـعُ لَيلِـي بِالـدُّمُوعِ السَّـوَاجِمِ
كَـأَنِّي لِأَحْـدَاثِ اللَّيَـالِي دَرِيئَـةٌ ... أُقِيمَـتْ سَـبِيلاً لِلْخُطُـوبِ الهَـوَاجِمِ[٤]

ثم يقرر أنه رغم شدة الملمات وقسوة النوازل، كان صبورًا على الأذى، كثير التحمل والإغضاء، فيقول (الوافر)[٥]:

مُنِيـتُ مِـنَ الزَّمَـانِ بِعَنْقَفِيـرٍ ... قَلِيـلٌ عِنْـدَهَا حَـزُّ الشِّـفَارِ[٦]

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، ص١٥٦٧– ١٥٧٨.
(٢) السابق، ج٥، صـ٢٩٥٥.
(٣) السابق، ج٤، صـ١٩٩٨– ١٩٩٩.
(٤) الدَّرِيئة: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها.
(٥) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، ص٨٩٤– ٨٩٥.
(٦) العنقفير: الداهية.

فِـــرَاقُ أَحِبَّتِـــي وَذَهَـــابُ مَـــالِي وَضَـــــيمُ أَقَـــــارِبٍ وَأَذَاةِ جَـــــارِ
فَـــلا وَ اللهِ مَـــا وَجْـــدٌ كَوَجْـــدِي وَلَا عُـــرِفَ اصْـــطِبَارٌ كَاصْـــطِبَارِي

ويؤكد على ذات المعنى، فيقول (البسيط)[١]:

كَمْ عَايَنَ الدَّهْرُ مِنِّي صَبْرَ مُكْتَهِلٍ إِذْ لَيسَ يُوجَدُ صَبْرُ العَوْدِ فِي الجَذَعِ
وَكَمْ سَقَانِيَ مِنْ كَأْسٍ عَلَى ظَمَأٍ أَمَرُّ فِي الطَّعْمِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ سَلَعِ
وَمَـــا رَمَتْنِـــيَ بِكْـــرٌ مِـــنْ نوَائِبِـــهِ إِلَّا صَـكَكْتُ بصَـبْرِي هَامَـةَ الجَـزَعِ[٢]

ويزيد المعنى وضوحًا، حيث يؤكد أن الحوادث لا تصنع منه إلا رجلًا شديد النفس، قوي البأس، كالسيف القاطع الذي لا يزيده الدَّوْسُ إلا حِدَّة، فيقول (البسيط)[٣]:

إِنِّـي عَلَـى حَادِثَـاتِ الـدَّهْرِ ذُو جَلَـدٍ تَجْلُو الحَوَادِثُ مِنِّي صَارِماً خَذِمَا

ويقرر ذات المعنى، فيقول (الطويل)[٤]:

خَلِيلَـيَّ مَـا آضَ اعْتِزَامِـي وَلَا نَضَـا عُرَامِـي وَلَا ضَـاقَتْ عَلَـيَّ المَنَـادِحُ
وَلَا فَـلَّ صَـبْرِي مَـا لَقِيـتُ وَإِنَّنِـي لَأَلْـوَى عَلَـى الـلأْوَاءِ جَلْـدٌ مُكَـافِحُ

ومن ثم لا نعجب إذا وجدنا شاعرنا يدعو نفسه إلى التحلي بالصبر، ويوطنها على مواجهة الأعباء مهما ثقلت بقلب لم تعلق به ريبة وعقل لا تطيش به كربة، إذ بعد الشدة يأتي الفرج، وبعد العسر لابد من اليسر، فيقول (الطويل)[٥]:

---

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، ص١١٢٣– ١١٢٥.
(٢) البكر: المصيبة التي لم يتقدمها مصيبة مثلها، والصك: الضرب.
(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، ص١١٢٣– ١١٢٥.
(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، ص٥٤٣.
(٥) السابق، ج٣، صـ١٤٢٠– ١٤٢١.

أَيَــا نَفْــسُ صَــبْرًا لِلْبَلايَــا فَرُبَّمَــا أَتَــى فَــرَجٌ لِلْمَــرْءِ، وَالمَــرْءُ غَافِــلُ
فَكَــمْ ضَــاقَ أَمْــرٌ ثُــمَّ وَافَــى اتِّسَــاعُهُ وَمَــا عَاجِــلٌ إِلَّا وَيَتْلُــوهُ آجِــلُ

ومن الأخلاق التي اعتد بها ابن المقرب في شعره خلق الحلم، حيث كان يقابل الظلم والجحود بالحلم والأناة، فقد يسمع من أحد المسيئين إليه كلامًا قبيحًا، لكنه يصفح ويغفر، رغم قدرته على رد الإساءة بالإساءة، لكنه يعفو مقتدرًا، ومن ذلك قوله (الطويل)[١]:

وَعَورَاءَ مَرَّتْ بِـي فَلَـمْ أَكْتَرِثْ بِهَا وَقَـدْ كَـانَ لَـولَا الحِلْـمُ عِنْـدِي جَوَابُهَـا[٢]

وكلما زادت الإساءة وامتلأ القلب غيظًا، حتى غلا كالمرجل المنكب غضبًا وحنقًا، وطن نفسه على التحلي بالحلم، وإطفاء نار الجهل التي تغلي في صدره، لكن ذلك ليس عن جبن ولا خور، بل حلم تأصل فيه وتربى عليه، حتى فاض خلقًا كريمًا، يصور ذلك فيقول (الطويل)[٣]:

وَأَطْفَـأْتُ نَـارَ الجَهْـلِ بِـالحِلْمِ بَعْـدَمَا غَلَـى المِرْجَـلُ الأَحْـوَى وَدَقَّـتْ تَوَابلُـه

ويؤكد على المعنى ذاته ، فيقول (الطويل)[٤]:

وَأَصْـبَحَتِ الحُسْـنَى تُعَـدُّ إِسَـاءَةً عَلَـيَّ، وَيُسْتَصْـفَى عَـدُوِّي وَأُعْـزَلُ
وَتَكْثُـرُ عِنْـدِي -لَا لِعُـذْرٍ- ذُنُوبُـهُ فَأَمْشِـــي إِلَـــى أَبْوَابِـــهِ أَتَنَصَّـــلُ
وَمَـا ذَا كَ عَجْزٌ عَنْ مُكَافَاةِ خَـائِنٍ وَلَكِـنَّ حِلْمِـي عَـنْ ذَوِي الجَهْلِ أَفْضَلُ

(١) السابق، ج١، صـ١٧٨.
(٢) العوراء من الكلام الكلمة القبيحة.
(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، ص١٣٢٦.
(٤) السابق، ج٣، ص١٥١٥.

ويقول (البسيط)[١]:

لَا حِلْـمَ يَـرْدَعُكُمْ عَمَّـا أُسَـاْءُ بِـهِ وَلَا أُطِيـعُ بِكُـمْ جَهْلِـي فَأَنْتَصِـرُ

ويهدد أحيانًا بأنه ربما لا يستطيع السيطرة على نفسه، ومن ثم يأتي الرد قاسيًا، فيكون كالنار المحرقة التي لا تبقي ولا تذر، فيقول (البسيط)[٢]:

فَـلا يَغُـرَّنَهمْ حِلْـمٌ عُرِفْـتُ بِـهِ قَـدْ تَخْـرُجُ النَّـارُ فِيمَـا يُقْـرَعُ الحَجَـرُ

ويعد الكرم من الأخلاق التي اعتد بها ابن المقرب في شعره، على عادة العرب عامة والشعراء خاصة، "ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإنسان العربي كان يرى أن الشجاعة والقوة والبأس لابد أن يردفها الكرم والجود والعطاء؛ لأن الحياة القاسية التي تطلبت منه قوة للاستمرار فيها، تطلبت منه أيضًا تضامنًا وتكافلًا بين الأفراد، ومد يد العون للآخرين خشية هلاكهم جوعًا أو عطشًا، ويبدو أنه كان مقتنعًا قناعة تامة بأن الرجل القوي لا يكتفي بتأمين رزقه ورزق أهله فقط، وإنما يمتد عطاؤه ليشمل أفراد القبيلة المحتاجين، وليشمل أيضًا كل معتفٍ أو طالب حاجة يطرق بابه ويرتجي عونه"[٣].

لقد عد شاعرنا الكرم سجية من سجاياه وشيمة من شيمه، لا تنفك عنه في غنى أو فقر، فهو والندى رفيقان متلازمان، لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر، حيث يقول (الوافر)[٤]:

وَإِنّـــي وَالعُلَـــى فَرَسَـــا رِهَـــانٍ كَمَـــا أَنَـــا وَالنَّـــدَى أَخَـــوَا رَضَـــاعِ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي،ج٢، صـ٩٧٢.

(٢) السابق، ج٢، صـ٩٦٠.

(٣) الإنسان في الشعر الجاهلي، د/ عبد الغني أحمد زيتوني، صـ٢٥٣.

(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ١٠٩٩.

ويزعم أنه أبسط القوم يدًا، وأكثرهم عطاءً، فيقول (الطويل)[١]:

وَأَنَّ أَيَادِي القَومِ أَبْسَطُهَا يَدِي وَأَنَّ زِنَادَ الحَيِّ أَثْقَبُهَا زَنْدِي

وَأَنِّي مَتَى يُدْعَى إِلَى البَأْسِ وَالنَّدَى فَأَحْضَرُهَا نَصْرِي، وَأَجْزَلُهَا رِفْدِي

وحين تلومه محدثته بسبب كثرة الإنفاق، وتذكره بأنه مدعاة للفقر ونفاد المال، يرد عليها ردًا صريحًا واضحًا بأنه لا يخشى ذلك لأن الله تعالى تكفل بمضاعفة العطاء لمن كان الكرم ديدنه والندى خلقه، فيقول (الوافر)[٢]:

وَتَعْذِلُنِي عَلَى إِنْفَاقِ مَالِي وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لِلْفَقْرِ دَاعِ

ثم يرد عليها بقوله (الوافر)[٣]:

وَأَخْشَى الفَقْرَ وَالدُّنْيَا مَتَاع وَرَبِّي بِالكِرَامِ أَبَرُّ رَاعِ

ثم يؤكد أنه كان محط أنظار المحتاجين ومنتهى آمالهم، نظرًا لمضاعفة العطاء والإكرام، وذلك حين كان آمنًا مطمئنًا ينعم بماله ويتصرف فيه كيف يشاء، يقول (الطويل)[٤]:

فَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ جُلالٍ وَثَرْوَةٍ يُضَاعَفُ إِكْرَامِي، وَتُرْجَى مَكَارِمِي

وقد اعتد شاعرنا بعدد آخر من المكارم، لكن بصورة أقل من خلال الإشارة إليه في أبيات قليلة في قصيدة أو اثنتين فقط، منها: الوفاء لأصحابه ولقومه، فصحبه رغم خيانتهم له ونقضهم للعهود معه، لا يقابل إساءتهم بالإساءة، حتى تبين له في النهاية أن ذنبه وتهمته ورعه وإحسانه، فيقول (البسيط)[٥]:

سَلِ الأَخِلَّاءَ عَنِّي هَلْ صَحِبْتُهُمُ يَوماً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا وَالوَفَاءُ مَعِي

---

(١) السابق، ج١، صـ٦١٩.

(٢) السابق، ج٢، صـ١٠٩١.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ١٠٩٥.

(٤) السابق، ج٤، صـ٢٠٠٩.

(٥) السابق، ج٢، صـ١١٢٥– ١١٢٦.

أَلْقَــى مُسِــيئَهُمُ بالبُشْــرِ مُبْتَسِــمَاً حَتَّــى كَــأَنْ لَــمْ يَخُــنْ عَهْـدَاً وَلَـمْ يُضِـعِ
وَسَـلْهُمُ هَـلْ وَفَـى لِـي مِـنْ ثِقَـاتِهِمُ حُـرٌّ وَلَـمْ يَشْـرِ فِـي نَقْصِـي وَلَـمْ يَبِـعِ
ثَكَلْــتُهُمْ ثُكْــلَ عَــينٍ مَــا تَبَطَّنَهَــا مِـنَ القَـذَى، أَوْ كَثُكْـلِ العُضْـوِ لِلْوَجَـعِ
لَقَـدْ تَفَكَّـرْتُ فِـي شَـأْنِي وَشَـأْنِهِمُ فَبَـانَ لِـي أَنَّ ذَنْبِـي عِنْـدَهُمْ وَرَعَـي

وهو كذلك وفي لقومه على الرغم مما أصابه منهم، فما يزال يحفظ ودهم وينشر فضلهم، ويخفي عيوبهم التي بانت له حمية لهم وصيانة، يقول (الكامل)[1]:

وَلَكَـمْ عَصَـيتُ بِهَـا العَـذُولَ وَلَـمْ أُذِعْ مَـا بَـانَ لِلأَعْـدَاءِ مِـنْ عَوْرَاتِهَـا

ومن تلك الأخلاق أيضًا التواضع، حيث ينأى بنفسه عن مواطن العجب والكبر، فقد صحب أناسًا امتلأت قلوبهم بالغل والحسد، ومن ثم ساءت أخلاقهم وقبحت خصالهم، ولولا أنه يكره الكبر ويحب التواضع لعلا عليهم بأصله وترفع بنفسه، يقول (الطويل)[2]:

إِذَا قُلْـتُ حَـلَّ الـدَّهْرُ غِـلَّ صُـدُورِهِمْ أَبَـتْ سُـوءُ أَخْـلاقٍ وَقُـبْحُ خِصَـالِ
وَلَا ذَنْــبَ لِــي إِلَّا حِجَــىً وَبَرَاعَــةٌ وَمَجْـدٌ وَبَيـتٌ فِـي (رَبِيعَـةَ) عَـالِي
وَمَيلِـي إِلَـى أَهْـلِ التَّوَاضُـعِ وَالعُلَـى بِـوُدِّي وَبُغْضِـي الأَسْـفَلَ المُتَعَـالِي

ومن جميل أخلاق شاعرنا التي اعتد بها في شعره عدم النفاق والمداهنة، فيبين أنه لو كان منافقًا لحاز المعالي وحقق الأماني، ولكنه لا يشترى دنياه بدينه، فيقول (الطويل)[3]:

فَلَو أُحْسِنُ التَّصْفِيقَ وَالرَّقْصَ فِيهِمُ وَرَفْــعَ المثَــانِي وَالغِنَــاءَ المُهَــوَّدَا

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٤٨١.
(٢) السابق، ج٣، صـ١٥٧٣- ١٥٧٤.
(٣) السابق، ج٢، صـ٦٨٤- ٦٨٩.

لَعِشْتُ عَزِيزاً فِيهِمُ، وَلَمَا اجْتَرَا ... يَمُدُّ عَلَيَّ الضَّيمُ بَاعَاً وَلَا يَدَا
وَلَا كَانَ شُرْبُ المُقْرِفِينَ ذَوِي الخنَا ... بِهَا نَهَلاً عَبَّاً، وَشُرْبِي مُصَرَّدَا
وَلَو أَنَّنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ رَذِيَّةً ... أَوَيْطِفَ رَغَّاءً لَدَى الشَّدِّ أَكْبَدَا
وَصَاحَبْتُ مِنْ أَدْنَى البَوَادِي مُكَشَّماً ... ضَعِيفَ الأَيَادِي قَاصِرَ الجَاهِ مُسْنَدَا
لَكَانَتْ سَنِيَّاتُ الجَوَائِزِ تَرْتَمِي ... إِلَى حَيثُ أَهْوَى بَادِيَاتٍ وَعُوَّدَا
وَلَكِنَّنِي لَمْ أَرْضَ ذَاكَ صِيَانَةً ... لِعِرْضِيَ أَنْ أُعْطِي المُعَادِينَ مِقْوَدَا
وَأَكْبَرْتُ نَفْسِي أَنْ أُجَالِسَ قَيْنَةً ... وَدُفَّاً وَمِزْمَارَاً وَعُوداً وَأَعْبُدَا
وَأَنْ أَجْعَلَ الأَنْذَالَ حِزْبَاً وَشِيعَةً ... وَلَو جَارَ فِيَّ الدَّهْرُ مَا شَاءَ وَاعْتَدَى
فَلَسْتُ بِبِدْعٍ فِي الكِرَامِ، وَهَذِهِ ... سَبِيلُ ذَوِي الإِفْضَالِ وَالبَأْسِ وَالنَّدَى

وقد اعتد شاعرنا بمجموعة من القيم والأخلاق في موضع واحد في بضع أبيات متتاليات، لكن ذلك ورد قليلًا في ديوان شعره، في ثنايا الحديث مع قومه الذين تنكروا له آذوه وطردوه خارج الديار، فما يزال ينكر عليهم صنيعهم هذا، ويذكرهم ببعض من شمائله وفضائله؛ لعلهم يرجعون عن غيهم، ويعودون إلى رشدهم، ومن ذلك قوله (البسيط)[١]:

أَلَسْتُ أَوفَاكُمُ عَهْدَاً، وَأَحْكَمَكُمْ ... عَقْدَاً، وَأَقْوَمَكُمْ بِالفَرْضِ وَالنَّفَلِ؟
أَلَيسَ بَيتُكُمُ فِي العِزِّ مَرْكَزُهُ ... بَيتِي فَمَا كَانَ مِنْ فَخْرٍ فَمِنْ قِبَلِي؟
أَلَسْتُ أَطْوَلَكُمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... بَاعَاً، وَأَحْمَلَكُمْ لِلْحَادِثِ الجَلَلِ؟

وفي السياق ذاته يقول (الطويل)[٢]:

وَلَسْتُ بِهَجَّامٍ عَلَى مَا يَسُوؤُهَا ... وَلَا نَاطِقٌ بِالعَيبِ مِنِّي لَهَا فَمُ
وَلَا قَابِضٍ فَضْلَ الغِنَى عَنْ فَقِيرِهَا ... وَلَا بَاسِطٍ كَفَّاً لَهَا حِينَ أُعْدَمُ

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٧٠٠– ١٧٠٢.
(٢) السابق، ج٣، صـ١٧٨٨– ١٧٩١.

وَإِنِّـــي لَأَقْصَـــاهَا إِذَا ثَـــابَ مَغْـــنَمٌ وَإِنِّـــي لَأَدْنَاهَـــا إِذَا نَـــابَ مَغْـــرَمُ
وَلِـي فِـي الغِنَـى سَـهْمٌ إِذَا مَـا أَفَدْتُـهُ وَلِلـدَّفْعِ عَـنْ أحْسَـابهَا مِنْـهُ أَسْـهُمُ
وَيَمْنَعُنِـــي كَيـــدَ العَـــدُوِّ احْتِقَـــارُهُ وَكَيـــدَ المُـــدَاجِي عِفَّتِـــي وَالتَّكَـــرُّمُ
وَأَصْـفَحُ عَـنْ جُهَّـالِ قَـومِي حَمِيَّـةً وَإِنْ أَسْرَجُوا فِـي هَـدْمِ عِـزِّي وَأَلْجَمُـوا
وَإِنْ قَطَعُـوا أَرْحَـامَ بَيْنِـي وَبَيْـنَهُمْ وَصَـلْتُ، وَذُو العَلْيَـا أَبَـرُّ وَأَرْحَـمُ
وَأُغْضِـي عَلَـى عَـورَاءَ قَـومٍ وَإِنَّنِـي لأَبْصَـرُ مِـنْهُم لَـو أَشَـاءُ وَأَعْلَـمُ
وَأَحْفَـظُ وُدَّ الأَصْـدِقَاءِ وَإِنْ هُـمُ إِلَـيَّ بِـلا جُـرْمٍ أَسَـاءُوا وَأَجْرَمُـوا

لقد استطاع شاعرنا رسم صورة واضحة المعالم لبعض من أخلاقه وصفاته الكريمة معتدًا بها ومفتخرًا، حيث أكثر من الحديث عن جلده وصبره الجميل غير المصحوب بالشكوى والجزع، في إشارة إلى أن قناته لا تلين مهما تكالبت الهموم وتزايدت الخطوب، كما أكثر الحديث عن اتصافه بالكرم، فلا يتوانى عن إطعام الجوعى ومساعدة المحتاجين من الغرباء، وهو مستمر في ذلك غنيًا كان أو فقيرًا، موسرًا أو معسرًا، كما تحدث عن خلق الحلم، مؤكدًا أنه لا يقابل السوء بالسوء، إنما يحل مع المسيئين ويعفو عن المذنبين، مع التأكيد على أنه لا يحلم جبنًا، محذرًا المسيئين بأنه لو تقرر عقابهم فإن العقاب سيكون بمثابة نار محرقة لا ترحم أحدًا، كما تحدث عن وفائه للأهل والأصحاب، فلا يكشف سوءاتهم ولا يهتك سترهم ولا يفضح عيوبهم، وفاءً لهم وحمية عليهم.

كما استطاع أن يجمع بعض الأخلاق والصفات في موضع واحد وكأني به يفاخر ويباهي، ولسان حاله يقول: من يدانيني شرفًا ومن يساويني سؤددًا وخُلقًا، كل ذلك من غير إحساس بكبر ولا خيلاء ولا غرور.

المبحث الخامس: خصائص وسمات فنية

بعد أن تعرفنا في المباحث السابقة على أبرز مضامين الاعتداد بالذات في شعر ابن المقرب العيوني، أرى لزامًا عليَّ أن أتحدث في هذا المبحث عن القوالب التي أفرغ فيها هذه المضامين؛ لتخرج على تلك الصورة الرائقة وهذا الشكل البديع، ومن ثم فهو حديث عن أبرز الخصائص والسمات الفنية في شعره.

أولًا: بناء القصيدة

إذا أراد شاعر أن ينشئ قصيدة فلابد من استيعاب المعنى العام في ذهنه، وتنظيم الأفكار وترتيبها ترتيبًا تسلسليًا، ومن ثم تستقي من عاطفته وتأخذ من أحاسيسه، ثم يأخذ بعد ذلك في صياغتها فتخرج في بناء هندسي متناسق متماسك، ممزوجة بمشاعره وانفعالاته ورؤاه الخاصة، "فإذاَ أَرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ مخَّضَ المَعْنى الَّذِي يُريد بِنَاءَ الشِّعر عَلَيْهِ فِي فِكْرِهِ نَثْراً، وأعَدَّ لَهُ مَا يُلْبسُهُ إيَّاهُ من الْأَلْفَاظ التي تُطَابِقُهُ، والقوافي الَّتِي توافِقُهُ، والوَزْنِ الَّذِي يسلس لَهُ القَولُ عَليهِ، فَإِذا اتَّفَقَ لَهُ بيتٌ يُشَاكِلُ المَعْنَى الَّذِي يرومُهُ أثْبَتَهُ، وأعْمَلَ فِكْرَهُ فِي شُغْل القوافي بِمَا تَقْتَضِيهِ من الْمعَانِي على غير تَنسِيقٍ للشِّعر وتَرْتيبٍ لفُنونِ القَوْلِ فِيهِ؛ بل يُعَلِّقُ كلَّ بيتٍ يَتَّفِقُ لَهُ نَظْمُهُ، على تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا قبلَهُ، فَإِذا كَمُلَتْ لَهُ المَعَاني، وكَثُرت الأبياتُ وَفّقَ بَينهَا بأبياتٍ تكونُ نظاماً لَهَا وسِلْكاً جَامعاً لما تشَتَّت مِنْهَا، ثمَّ يتأمَّلُ مَا قد أدَّاه إِلَيْهِ طَبْعُهُ ونَتَجَتْهُ فِكْرَتُهُ، يَسْتَقْصِي انتقادَهُ، ويَرُمُّ مَا وَهَى منهُ، وَيُبْدِلُ بكُلِّ لَفْظَةٍ مُسْتكرهَةٍ لَفْظَةً سَهْلةً نَقِيَّةً، ...، كالنَّقَّاش الرَّفيقِ الَّذِي يَضَعُ الأصْبَاغَ فِي أَحْسَنِ تَقَاسِيمِ نَقْشِهِ، ويُشْبِعُ كلّ صِبْغٍ مِنْهَا حَتَّى يتضاعَفَ حُسْنُهُ فِي العَيَانِ، وكناظِمِ الجَوْهر الَّذِي يُؤَلّفُ بَين النَّفيس مِنْهَا والثَّمين الرَّائق، وَلَا يشين عُقودَه بأنْ يُفَاوتَ بَين جواهِرِهَا فِي نَظْمها

وتَنْسيقها"[١]، فكيف بنى شاعرنا المعاني التي سيطرت على أفكاره بناءً شعريًا؟ وهل استطاع الوصول بتجربته الشعرية إلى مرحلة التكامل البنائي؟ ويتبين ذلك من خلال معرفة موقفه من المقدمة التقليدية والوحدة الموضوعية والختام التقليدي في قصائده.

أما المقدمة التقليدية فقد حافظ عليها، موافقًا الشعراء القدامى في الجاهلية والإسلام، لكنه وإن وافقهم فيها من جهة الشكل فقد خالفهم فيها من جهة المضمون، فلم تكن مقدمات قصائده طللية ولا غزلية ولا خمرية، إنما مقدمات شكوى وعتاب، وحكمة وموعظة وإرشاد، "فالصفة الغالبة المميزة لمقدمات قصائد شاعرنا هي ابتداؤه بالشكوى والعتاب أو الحكمة المرتبطة بواقع حياته ومعاناته الشخصية، وهو يخالف بذلك الشعراء المتقدمين في العصر الجاهلي وعصور الإسلام الأولى ممن اعتادوا بدء قصائدهم بالغزل التقليدي أو بكاء الأطلال والدمن وديار الأحبة، أو وصف الطريق إلى الممدوح والناقة التي حملت الشاعر إليه، وتلك طريقة اختارها ابن المقرب في الكثير من مطالع قصيدته، يدفعه إليها إعجابه بطريقة أبي الطيب المتنبي ورغبته في تقليده، كما يدفعه إليها واقع الحال التي يعيشها، ولذلك جاءت هذه المقدمات أكثر صدقًا وذاتية في شعر ابن المقرب من تلك المقدمات التقليدية التي سار الشعراء القدامى على نهجها"[٢].

فمن القصائد التي بدأها بالشكوى والعتاب، قوله (الكامل)[٣]:

كَمْ أُرْجِعُ الزَّفَرَاتِ فِي أَحْشَائِي وإِلامَ فِي دَارِ الهَوَانِ ثَوَائِي

(١) عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ ، صـ١١.

(٢) علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، د/ علي بن عبد العزيز الخضيري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، صـ٣٤٧.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٥٣- ٥٤.

لَـمْ يَبْـقَ مِنِّـي مِـنْ مُسَـاوَرَةِ العِـدَا والضَّـيمِ غَيـرُ حُشَاشَـةٍ وَذَمَـاءِ
فِـي دَارِ قَـومٍ لَـو رَآهُـمْ مَالِـكٌ وَهُـمُ بِأَحْسَـنِ مَنْظَـرٍ وَرُوَاءِ
لَرَثَـى لِأَهْـلِ النَّـارِ كَيْـفَ يَـرَاهُمُ وَهُـمُ لَهُـمْ فِيهَـا مِـنَ القُرَنَـاءِ

ومن القصائد التي بدأها بالحكمة والموعظة، قوله (الطويل)[1]:

تَجَافَ عَنِ العُتْبَى فَمَا الذَّنْبُ وَاحِدُ وَهَبْ لِصرُوفِ الدَّهْرِ مَا أَنْتَ وَاجِدُ
إِذَا خَانَكَ الأَدْنَى الَّذِي أَنْتَ حِزْبُهُ فَلا عَجَباً لَو أَسْلَمَتْكَ الأَبَاعِدُ
وَلَا تَشْكُ أَحْدَاثَ اللَيَالِي إِلَى امْرِىءٍ فَذَا النَّاسُ إِمَّا حَاسِدٌ أَو مُعَانِدُ
وَعَدِّ عَنِ المَاءِ الَّذِي لَيسَ وِرْدُهُ بِصَافٍ فَمَا تُعْمَى عَلَيكَ المَوَارِدُ
فَكَمْ مَنْهَلٍ طَامِي النَّوَاحِي وَرَدْتُهُ عَلَى ظَمَأٍ وَانْصَعْتُ وَالرِّيقُ جَامِدُ
فَلا تَحْسَبَنْ كُلَّ المِيَاهِ شَرِيعَةً يُبَلُّ الصَّدَى مِنْهَا، وَتُوْكَى المَزَاوِدُ
فَكَمْ مَاتَ فِي البَحْرِ المُحِيطِ أَخُو ظَمَا بِغُلَّتِهِ، وَالمَاءُ جَارٍ وَرَاكِدُ
وَإِنْ وَطَنٌ سَاءَتْكَ أَخْلاقُ أَهْلِهِ فَدَعْهُ فَمَا يُغْضِي عَلَى النَّقْصِ مَاجِدُ
فَمَا (هَجَرٌ) أُمٌّ غَذَتْكَ لِبَانُهَا وَلَا (الخَطُّ) إِنْ فَارَقْتَهَا لَكَ وَالِدُ
وَقَدْ رُبَّمَا يُجْزَى عَلَى الصَّدِّ وَالقِلَى أَبٌ وَأَخٌ وَالمَرْءُ مِمَّنْ يُسَاعِدُ
فَبُتَّ حِبَالَ الوَصْلِ مِمَّنْ تَوُدُّهُ إِذَا لَمْ يَرِدْ كُلَّ الَّذِي أَنْتَ وَارِدُ
وَقُلْ لِلَّيَالِي كَيفَ مَا شِئْتِ فَاصْنَعِي فَإِنَّ عَلَى الأَقْدَارِ تَأْتِي المَكَائِدُ
وَلَا تَرْهَبِ الخَطْبَ الجَلِيلَ لِهَولِهِ فَطَعْمُ المَنَايَا كَيفَ مَا ذُقْتَ وَاحِدُ

ويسير شاعرنا في القليل من مطالع قصائده على النهج القديم الموروث، فيبكي الأطلال والدمن، وفي أحيان قليلة جدًا يبدأ قصيدته بمقدمة خمرية، فمن مقدماته الطللية، قوله (الطويل)[1]:

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ٦٢٩– ٦٣٤.

أَمِـــنْ دِمْنَـــةٍ بَـــينَ اللِّـــوَى وَالـــدَّكَادِكِ ... شُـــغِفْتُ بتَـــذْرَافِ الـــدُّمُوعِ السَّـــوَافِكِ
عَفَـــــتْ غَيـــــرَ آرِيٍّ وَأَورَقَ حَائِـــــلٍ ... وَأَشْـــعَثَ مَشْـــجُوجٍ وَسُـــفْعٍ رَوَامِـــكِ
وَنُـــؤْيٍ كَجِـــذْمِ الحَـــوْضِ غَيَّـــرَ رَسْـــمَهُ ... وَجِيفُ الحَصَى بالمُوجِفَاتِ الحَوَاشِكِ
كَـــأَنَّ فُـــوَّادِي نَاطَـــهُ ذُو سَـــخِيمَةٍ ... قَلِيـلُ التَّحَنِّـــي فِـــي صُـــدُورِ النَّيَـــازِكِ
غَـــدَاةَ تَـــدَاعَى الحَـــيُّ بِـــالبَينِ بَعْـــدَمَا ... جَـلا الصُّبْحُ أَعْجَـازَ النُّجُـومِ الـدَّوَالِكِ
وَقَـــدْ قَرَنُـــوا لِلْبَـــينِ كُـــلَّ هَمَرْجَـــلٍ ... أَمُـونِ القِـرَى ضَـخْمِ العَثَـانِينَ تَامِـكِ
قِمَطْـــرٍ دِرَفْـــسٍ قَيسَـــرِيٍّ كَأَنَّمَـــا ... مَنَاكِبُـــهُ جُلِّـــنَ وَشْـــيَ الـــدَّرَانِكِ
رَعَى (وَاحِفاً) فَـ(الصُّلْبَ) مِنْ أَحْبُلِ (الغَضَا) ... بِحَيـثُ اسْـتَهَلَّتْ كُـلُّ وَطْفَـاءَ رَامِـكِ

ومن مقدماته الخمرية، قوله (السريع)[٢]:

قُـمْ فَاسْـقِنِيهَا قَبْـلَ صَـوتِ الحَمَـامْ ... كَرْمِيَّـــةً تَجْمَـــعُ شَـــمْلَ الكِـــرَامْ
صَـــهْبَاءَ مِمَّـــا عَتَّقَـــتْ بَابِـــلٌ ... مِزَاجُهَـــا الأَرْيُ وَمَـــاءُ الغَمَـــامْ
مِمَّـا أُدِيـرَ الكَـأْسُ مِنْهَـا عَلَـى ... كِسْـرَى وَنُمْـرُودِ بْـنِ كُـوشِ بْـنِ حَـامْ
تُـــذْهِبُ بِاليَـــأْسِ وَتُـــدْنِي المُنَـــى ... وَتَنْشُـــرُ اللَّهْـــوَ وَتَطْـــوِي الغَـــرَامْ
لَـوِ احْتَسَـاهَا ابْـنُ الزُّبَيـرِ اغْتَـدَى ... أَكْـــرَمَ مِـــنْ كَعْـــبٍ وَأَوسِ بْـــنِ لَامْ
أَو ذَاقَهَـا المَنْـزُوفُ ضَـرْطَاً لَمَـا ... هَـابَ ابْـنَ ذِي الجَـدَّينِ يَـومَ الزِّحَـامْ

ومن الملاحظ أن هذه المطالع الطللية والخمرية في شعر شاعرنا ليست إلا من باب التأثر بأشعار القدماء ومحاولة تقليدهم، ومن ثم افتقدت صدق العواطف فجاءت باردة متكلفة، في حين يلاحظ أن هناك توافق وتلاؤم بين المقدمات الأخرى الغالبة على معظم شعره وأغراض تلك القصائد.

=

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٢٤٦- ١٢٥٠.
(٢) السابق، ج٤، صـ٢٤٨٢- ٢٤٨٩.

أما عن الوحدة الموضوعية، فلم تتحقق إلا في القليل من نتاجه(١)، وقد افتقدت أغلب أشعاره تلك الوحدة، "شأنها في ذلك شأن نظام القصيدة العربية التي تغلب عليها وحدة البيت لا وحدة القصيدة، وابن المقرب كثيرًا ما يجمع في القصيدة الواحدة بين المديح والشكوى والعتاب والفخر والحكمة بتأثير القلق النفسي الذي لازمه أكثر أوقاته تحت وطأة الظروف القاسية التي مرت به، فهو لا ينفك يتحدث في كل مناسبة عن المظالم التي لحقت به، ويبين منزلته ومكانته العالية بين قومه بفخاره وحماسته مع إيراد الحكمة يستعين بها على دعم حججه وآرائه وهو يلح على در مظلمته وإنصافه، فكان من أجل ذلك مضطرًا أن يقحم في المديح أغراضًا أخرى تحقق هذه الأهداف كالشكوى والعتاب والفخر والحكمة، ورغم انعدام الوحدة الموضوعية في الكثير من قصائده فإنه يحسن الانتقال من غرض إلى آخر في عفوية وبعد عن التكلف"(٢).

أما الخاتمة فقد غلب عليها الطابع الدعائي من جهة والإعجاب بالقصيدة من جهة أخرى، فمن القصائد التي ختمها بالدعاء، قوله (الطويل)(٣):

فَـلا عَـدِمَتْ يَومَـاً رَبِيعَـةُ مِثْلَـهُ لِتَشْـــييدِ عِـــزٍّ، أَو لِبَـــذْلِ مَوَاهِـــبِ

وَلا بَرَحَـتْ أَيَّامُـهُ فِـي سَـعَادَةٍ وَلا زَالَ مَحْـرُوسَ الحِمَـى وَالجَوَانِـبِ

وقوله يدعو للممدوح في ختام القصيدة (الطويل)(٤):

فَعِشْ، وَابْقَ وَاسْلَمْ وَانْجُ مِنْ كُلِّ غُمَّةٍ جَنَابُكَ مَحْرُوسٌ وَمُلْكُكَ خَالِدُ

(١) ينظر: ديوان ابن المقرب، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،صـ٢٢٥- ٢٢٩، صـ٥٠٥- ٥١٠، صـ٥٢٦- ٥٥٤، صـ٦١١- ٦١٨، صـ٦٢٣- ٦٣٠، صـ٦٣٢- ٦٤٢.٠

(٢) علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، د/ علي بن عبد العزيز الخضيري، صـ٣٥٢.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٢٦٤،

(٤) السابق، ج٢، صـ٦٥٥.

وقوله (الخفيف)[١]:

عِشْتَ يَا بَاتَكِينَ لِلْمَجْدِ مَا غَرَّ دَ حَادٍ وَمَا تَرَنَّمَ شَادِي
فِي نَعِيمٍ وَخَفْضِ عَيشٍ وَفِي عِزٍّ عَزِيزٍ بَاقٍ عَلَى الآبَادِ
وَرَمَى اللهُ مَنْ يَكِيدُكَ بِالبُؤْ سِ وَذُلِّ المَحْيَا وَسُوءِ المَعَادِ

ومن القصائد التي ختمها بالإعجاب بالقصيدة، قوله (الطويل)[٢]:

إِلَيْكَ أَبَا المَنْصُورِ عِقْدُ جَوَاهِرٍ قَلَمَّسُهَا صَدْرِي، وَغَوَّاصُهُا فِكْرِي
نَفِسْتُ بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ وَسُقْتُهَا إِلَيْكَ لِعِلْمِي أَنَّهَا أَنْفَسُ الذُّخْرِ

وقوله (الكامل)[٣]:

وَغَرِيْبُ نَظْمٍ فَاقَ أَشْعَارَ الوَرَى فِيْكُمْ بسَاحَةِ كُلِّ أَرْضٍ يُنْشَدُ
وَإِلَيْكَهَا يَا بَاعَلِيٍّ مِدْحَةً مِنْ فَضْلِهَا أَنِّي عَلَيْهَا أُحْسَدُ
جَاءَتْ نَسِيجَةَ وَحْدِهَا فِي عَصْرِهَا إِذْ أَنْتَ فِي هَذِي البَرِيَّةِ أَوحَدُ

ومما تجدر الإشارة إليه أن شاعرنا في الختام الدعائي كان متأثرًا ببعض الشعراء من متأخري العصر العباسي، وهذا مما يؤخذ عليه ويجعله قريبًا من شعراء عصره من حيث الصنعة والتكلف، حيث يرفع يديه بدعاء تقليدي للممدوح، في معانٍ مكرورة وقوالب جامدة، ولعل عذره في ذلك أنه لم يدع في ختام قصائده إلا للملوك والأمراء، "وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء؛ لأنه من عمل أهل الضعف، إلا للملوك فإنهم يشتهون ذلك"[٤].

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي ، ج٢، صـ٨٣٥.
(٢) السابق، ج٢، صـ٨٦٠.
(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ٧٢٤.
(٤) العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ج١، صـ٢٤١.

ثانيًا: البناء اللغوي

الشعر بناء لغوي يحمل بين طياته شحنات دلالية وطاقات شعورية وأفكار معرفية وعواطف وأحاسيس داخلية، ومن ثم كان لزامًا على من يتصدى لدراسة الشعر أن يدلف إليه من بنيته الأولى وهي اللغة، "فبين اللغة والشعر علاقة أصيلة تظهر قيمتها في مدى إسهام الشعر في تطوير اللغة، من خلال إخضاعها لحركته المتنامية، إلى جانب قدرته الخارقة على تحريك نظامها وخلخلة بنياتها وأسسها الإنشائية، عبر آلية الصياغة المغايرة لصياغة اللغة المعيارية، والتي تعمد إلى تفجير هذا النظام وتجاوز التركيب اللغوي المألوف، فهو يستطيع أن يزيل عن اللغة رتابتها، وينزع عنها برودتها، وليس ذلك بانتقاء لغة خاصة غير مألوفة، وإنما بصياغة تلك اللغة بطريقة مخصوصة تعيد لها بريقها، وتحول برودتها إلى توهج، ...، لذلك يتفق أغلب النقاد والدارسين على أن ميزة الشعر تكمن في الطريقة التي يقال بها وليس في المقول نفسه"(١).

وستتركز مهمتنا في نظر وفحص الألفاظ والتراكيب التي كونت لغة القصيدة عند شاعرنا، وبيان ما تحمله من معاني وأفكار، وما ترمي إليه من مقاصد وأهداف، وما تحمله في ثناياها من مشاعر وأسرار.

لقد كان ابن المقرب صاحب موهبة شعرية فذة، وقريحة وقادة، ولغة طيعة، وبديهة سيالة، ومن ثم تميز بالقدرة على التعبير والتصوير، والتمكن من ناصية البيان في عرض المعاني والأفكار، بالإضافة إلى أنه عاش حياة مضطربة شريدة غير مستقرة، تعاورتها السجون والأسفار والتنقل والارتحال بين الحواضر والبوادي، فكان شعره مرآة كاشفة انعكست عليها تلك الحياة القلقة غير

(١) مجلة: سياقات اللغة والدراسات البينية، اللغة الشعرية بين آليات التشكيل وطرائق التعبير، د/ عبد الخالق بوراس، جامعة الإسكندرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ع٣، ديسمبر ٢٠١٩م، مج٤، صـ٨٢.

المطمئنة، حيث تنوعت لغته الشعرية بين لغة بدوية جامدة جافة، وأخرى حضرية واضحة سهلة. (١)

فمن نماذج الأول الذي اتسمت ألفاظه بالجزالة والفخامة والقوة والمتانة، قوله (الطويل) (٢):

أَمِنْ دِمْنَةٍ بَينَ اللِّوَى وَالدَّكَادِكِ ... شُغِفْتُ بتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ
عَفَتْ غَيرَ آرِيٍّ وَأورَقَ حَائِلٍ ... وَأَشْعَثَ مَشْجُوجٍ وَسُفْعٍ رَوَامِكِ
وَنُؤْيٍ كَجِذْمِ الحَوضِ غَيَّرَ رَسْمَهُ ... وَجِيفُ الحَصَى بِالمُوجِفَاتِ الحَوَاشِكِ
كَأَنَّ فُؤَادِي نَاطَهُ ذُو سَخِيمَةٍ ... قَلِيلُ التَّحَنِّي فِي صُدُورِ النَّيَازِكِ
غَدَاةَ تَدَاعَى الحَيُّ بِالبَينِ بَعْدَمَا ... جَلا الصُّبْحُ أَعْجَازَ النُّجُومِ الدَّوَالِكِ
وَقَدْ قَرَنُوا لِلْبَينِ كُلَّ هَمَرْجَلٍ ... أَمُونِ القِرَى ضَخْمِ العَثَانِينَ تَامِكِ

ومنه أيضًا، قوله (الطويل)(٣):

وَكَمْ جُبْتُ مِنْ مُومَاةِ أَرْضٍ يُرَى بِهَا ... مَعَ الآلِ حَقُّ العَينِ وَالأُذْنِ بَاطِلا
تَخَالُ بِهَا الحَرْبَاءَ فِي رَأْسِ جَذْلَةٍ ... شُيَيخَاً مِنَ البُدْوَانِ لِلْفَرْضِ مَاثِلا
وَتَحْسَبُ فِيهَا الثُّعْلُبَانَ مُجَلَّلاً ... مِنَ الخَيلِ إِذْ يَعْلُو كَثِيبَاً مُقَابِلا
وَإِنْ عَرَضَتْ فِيهَا الرِّئَالُ حَسِبْتَهَا ... بَخَاتِيَّ يَحْمِلْنَ الرَّوَايَا قَوَافِلا

(١) ابن المقرب شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية: حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، صـ٢٢٥، ينظر: ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٧٩.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٢٤٦- ١٢٤٩.

(٣) السابق، ج٣، صـ١٦٢٨- ١٦٢٩.

وقد استعمل في ثنايا نظمه العديد من الألفاظ الغريبة، التي لا يقف المتلقي على حقيقة معانيها إلا بعد الرجوع إلى المعاجم اللغوية، ومنه[١]:

صَهَامِيم وحُمَاذِق، مُقْذَمِرَّة، شَنَاخِبُه، يُمَاغِث والهَثَّاهِث، الكَثَّاكِث والأَبَاغِث، ذَآلِيل والمُجَالِح وآضَ، شُكْم وشُكْد، مُحْبَنْطِئ، مُعَلْهَج، البُعْصُوص ووَاشِل والهُرْطُمَان، الطِّيخ، عَنْقَفِير، الدَّسَائِع، الأَبْلَخ وكُرْسُف، مُصْمِئلَّة، عَيدَهِيَّة، رِهَام، أَرْفِلَة ...وغيرها.

ولعل سؤالًا يلح على الذهن، لماذا استعمل ابن المقرب هذه الألفاظ مع كونه متأخرًا؟ ولعل من أصدق الأجوبة وأقربها إلى الصواب، حبه الشديد وتعلقه بالسابقين من الشعراء، ومحاولة تقليدهم والظهور بمظهرهم، وفي ذلك لون من التعالي والتعاظم على معاصريه من الشعراء، ومباراة قدماء الشعراء إبرازًا لمقدرته اللغوية وقوة شاعريته. [٢]

ومن نماذج الآخر الذي اتسمت ألفاظه بالسلاسة والسهولة والبساطة والوضوح، قوله (الطويل)[٣]:

زَهَتْ (هَجَرٌ) مِنْ بَعْدِ مَا رَثَّ حَالُهَا وَعَاد إِلَيهَا حُسْنُهَا وَجَمَالُهَا

وَأَضْحَتْ تُبَاهِي جَنَّتَي أَرْضِ مَأْرِبٍ لَيَالِي بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ حِلالُهَا

فَيَا حُسْنُهَا حِينَ اسْتَقَرَّ قَرَارُهَا وَزَايَلَهَا مَا كَانَ فِيهِ وَبَالُهَا

(١) ينظر: الديوان، صـ٤٤، ٤٦، ٥٦، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٣٦، ١٥٢، ١٥٧، ١٧١، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٧٩، ٢٨٨، ٤٦٨، ٤٧١، ٥٧١، ٦٠١ على الترتيب.

(٢) ينظر: علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، علي بن عبد العزيز الخضيري، صـ٣٨٣.

(٣) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٥٢٥– ١٥٢٧.

ومنه كذلك، قوله (الوافر)[١]:

رُوَيــدَاً بَعْــضَ نَوحِــكَ يَــا حَمَــامُ أَجِــدَّكَ لاْ تُنِــيمُ وَلَا تَنَــامُ؟
أَكُــلَّ الــدَّهْرِ تَــذْكَاراً وَنَوحَــاً ؟ أَمَــا فَنِــيَ اشْــتِيَاقُكَ وَالغَــرَامُ ؟
هَتَفْــتَ فَهِجْــتَ لِــي شَــجْوَاً، فَقُــلْ لِــي حَمَــامٌ أَنْــتَ وَيحَــكَ أَمْ حِمَــامُ ؟
وَرِفْقَــاً إِنَّ جَــارَكَ – مِــنْ غَــرَامٍ وَمِــنْ قَلَــقٍ – لَيُؤْلِمُــهُ الكَــلامُ
أَتَــذْكُرُ هَالِكَــاً مِــنْ عَهْــدِ نُــوحٍ مَضَــى وَالــدَّهْرُ حِينَئِــذٍ غُــلامُ ؟
وَأَنْسَــى خُلَّتِــي وَالعَهْــدُ مِنَّــا قَرِيــبٌ لَــمْ يَمُــرَّ عَلَيــهِ عَــامُ

ومن الملاحظ أن شاعرنا يمزج في كثير من قصائده بين الأسلوبين السهل والوعر، مما يدل على ملكة أصيلة، وثقافة لغوية ناضجة، قلما تجتمع إلا لموهوب عبقري، ومن ذلك قوله في بداية قصيدة (الطويل)[٢]:

فَيَا عَرَصَاتِ الدَّارِ فِي حَيثُ تَلْتَقِي شَــقَائِقُ أَجْــرَاعِ اللِّــوَى فَالأَبَــاطِحُ
سَقَاكُنَّ مِنْ نَوءِ السِّمَاكَينِ عَارِضٌ مِـنَ المُـزْنِ مَحْلُـولُ النِّطَـاقَينِ دَالِـحُ
مُلِــثٌّ يَظَــلُّ الجَــابُ فِــي عُنْفُوَانِــهِ عَلَى النَّشْزِ، وَهْوَ الشَّحْشَحُ المُتَمَائِحُ
كَمُسْــتَرْعِفٍ أَجْــذَى وَذَبَّــحَ بَعْــدَمَا عَــدَا طَلَقَــاً وَاسْــتَنْدَهَتْهُ المطَــاوِحُ
وَتُمْسِــي الرِّعَــانُ القُــودُ فِيــهِ كَأَنَّهَــا يَعَالِيــلُ فِــي آذِيِّ بَحْــرٍ طَــوَافِحُ
لِتَــرْوِي مَغَانِيــكَ الَّتِــي لَــمْ تَــزُلْ بِهَــا عَلَينَــا مِــنَ النَّعْمَــاءِ غَــادٍ وَرَائِــحُ

ثم يُتبع هذه الأبيات الستة بأبيات سهلة الألفاظ واضحة المعاني، فيقول (الطويل)[٣]:

---

(١)ينظر: علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، علي بن عبد العزيز الخضيري، صـ٣٨٣.
(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٤، صـ٢٤٤٢- ٢٤٤٥.
(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٥٣٦- ٥٣٩.
(٣) السابق، ج١، صـ٥٣٩- ٥٤٠.

وَقَائِلَـةٍ – شِـبْهَ المَـلامِ – وَرَاعَهَـا بَيَـاضُ مَشِـيبٍ جَلَّلَتْـهُ المَسَـائِحُ
أَبَعْـدَ اشْـتِعَالِ الـرَّأْسِ شَـيْبَاً تَعَـرُّضٌ لِوَصْلِ الحِسَانِ البِيضِ أَمْ أَنْتَ مَازِحُ؟
فَقُلْـتُ أَلَـيسَ الصُّـبْحُ أَحْسَـنُ مَنْظَـرَاً وَأَبْهَـى مِـنَ الظَّلْمَـاءِ، وَاللَّيـلُ جَـانِحُ
فَمَالَـتْ لِهَـزْلِ القَـولِ، ثُـمَّ تَضَـاحَكَتْ وَقَالَـتْ لِهَـذَا فَلْتَنُحْـكَ النَّـوَائِحُ
إِذَا كَـانَ شَـيبُ الـرَّأْسِ مِمَّـا يُزِينُـهُ فَيَـا حُسْـنَ ثَغْـرٍ سَـوَّدَتْهُ القَـوَادِحُ !!
وَمَا شِبْتُ مِنْ سِنٍّ مَضَتْ بَلْ أَشَابَنِي صُـرُوفُ ٱللَّيَـالِي، وَالخُطُـوبُ الفَـوَادِحُ

وبذلك رأينا كيف جمع شاعرنا بين خصائص وسمات الأسلوبين: الجاهلي في بداوته والعباسي في تحضره، على أنه في عالب شعره يستعمل الألفاظ السهلة التي تتسم بالوضوح المعنوي لأغلب المتلقين.

أما التراكيب فكانت في مجملها محكمة النسج، جيدة السبك، حسنة الرصف، واضحة النهج، "متلاحمة السدى ذات رصانة وتماسك مبرأة من التعقيد ومن ضعف التأليف إلا من بعض هنات هينات"(١).

فمن تراكيبه الرائقة، التي جمع فيها بين صحة التركيب وجمال التأليف وسحر الموسيقى، قوله (الطويل)(٢):

فَيَنْظُـرُ عَـنْ صِـدْقٍ، وَيَسْـمَعُ وَاعِيَـاً وَيَفْهَـمُ عَـنْ عَقْـلٍ، فَيَزْهَـقُ بَاطِلُـه

حيث أحسن تقسيم الفقرات، وتتابع العبارات، وتوالي المعاني التي يؤكد بعضها بعضًا، بما يضفي على الممدوح خلال الخير، ويدفع عنه خصال الشر،

(١) ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٨٠، وينظر: ابن المقرب شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية: حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، صـ٢٢٧.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٣٣٦.

"وانظر إلى هذه الأفعال المضارعة التي يمسك بها عقد التشابه والتماثل فيحدث به ذلك التلاؤم الموسيقي الذي يظهر جليًا في البيت"(١).

ومن التراكيب التي لم يوفق في صياغتها، فبدا فيها التكلف واضحًا، قوله (الكامل)(٢):

مَـــا زَالَ يَجْتَـــابُ الـــبِلادَ مُشَـــمِّرَاً تَشْـــــمِيرَ لَا وَانٍ وَلَا مُتَحَيِّـــــرِ

حيث وقع في شيء من التعقيد اللفظي، "فوقوع (لا) في هذا الموضع أدخل العبارة في حكم التعقيد اللفظي وهو عند البلاغيين ضرب من ضعف التأليف للجمل"(٣).

وكذلك قوله (البسيط)(٤):

وَلَـــيسَ إِلَّاكَ نَرْجُـــوهُ وَنَأْمَلُـــهُ بِـــلا يَـــدٍ سَـــبَقَتْ مِنَّـــا وَلَا رَحِـــمِ

حيث وصل (كاف) الخطاب ب(إلا)، والصواب فصله (إلا إياك)، على المختار لدى النحاة وعلماء اللغة، إلا لضرورة الشعر، ولا أرى هنا ضرورة تدعو إلى الوصل؛ إذ كان بإمكانه الإتيان بتركيب آخر يخلو من التكلف واستعمال الضرورات ويؤدي في ذات الوقت نفس المعنى. (٥)

(١) ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، صـ٨١.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٢، صـ٩١٤- ٩١٥.

(٣) ابن المقرب شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية: حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، صـ٢٢٧.

(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٥، صـ٢٥٣٥.

(٥) للتوسع في هذا الجانب، ينظر: علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، علي بن عبد العزيز الخضيري، صـ٣٦٢- ٣٧٩.

ثالثًا: البناء الموسيقي

يتميز الشعر عن غيره من الفنون القولية بسمات عديدة، لعل من أبرزها البنية الإيقاعية، "فللشعر نواح عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر، ويستمتع الصغار والكبار بما في الشعر من موسيقى، ويدرك الطفل ما فيه من جمال الجرس قبل أن يدرك ما فيه من جمال الأخيلة والصور"(١).

وتنقسم البنية الإيقاعية (الموسيقى) في الشعر إلى قسمين: (موسيقى داخلية) و(موسيقى خارجية)، وفيما يأتي حديث عن كل قسم في شعر ابن المقرب بشيء من التفصيل.

أ: الموسيقى الداخلية

هي ذلك النغم الخفي الذي تحسه النفس عند قراءتها الآثار الأدبية الممتازة شعرًا ونثرًا، فنغم يبعث على الحماس وثانٍ يبعث على الحزن والكآبة، وثالث يثير فينا الحنان، ولو تساءلت عن مصدر هذا النغم لوجدته يكمن في حسن اختيار الأديب لكلماته بحيث أنها عند تجاورها جاءت منسجمة تنساب انسيابًا، فهي متآلفة الحروف لا تنافر فيها مما يسهل النطق بها، ولا يعتمد الأديب في ذلك على مراجعته لما كتبه وتنقيحه إلا قليلًا ، وإنما يهديه إلى ذلك ذوقه الفني وقدرته الأدبية وكذلك سعة ثقافته وثراء معجمه اللغوي، "تلك الموسيقى الداخلية، الموسيقى المعبرة تمام التعبير عن حالة شعورية خاصة، طبعت أداء الشاعر بطابع صوتي خاص، تلمسه في انسياب النفس الشعري أو تهدجه، في إسراعه أو إبطائه... في اندفاع النغم الشعري أو تموجه، في ارتفاعه أو انخفاضه. مثل

(١) موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢م، صـ٦،٧.

هذه الموسيقى الداخلية تنقل إليك نقلًا أمينًا كل شحنه من تلك الشحنات الانفعالية المصبوبة في حقول التجربة، حتى لتستطيع أن تميز كل لحظة زمنية عاشها الشاعر وتركت ظلها في نفسه وحسه فلحظة الغضب مثلًا لها جوها الموسيقي الخاص، وكذلك لحظة الألم واللذة، ولحظة الدهشة واللهفة، ولحظة الأسى والحنين... هذا الشاعر الغاضب في موقف من مواقف الضيق والثورة، تجده هناك: في تلك الموسيقى الصاخبة النغم، ذات الرنين العاصف، ذات المسافات الصوتية الطويلة. وهذا الشاعر النشوان في موقف من مواقف الفرح والبهجة، تجده هناك في تلك الموسيقى الراقصة النغم، ذات الرنين الحالم، ذات المسافات الصوتية القصيرة. وهذا الشاعر الملتاع في موقف من مواقف الألم والحسرة، تجده هناك: في تلك الموسيقى الهادئة النغم، ذات الرنين الخافت ذات المسافات الصوتية المترجحة بين الطول والقصر... الطول حين يتشح التعبير بوشاح الحزن المستكن في أغوار النفس تطلقه لحظة من لحظات البث والشكاة، والقصر حين يصطبغ التعبير بصبغة اللهفة العابرة اللوعة التي تلهب الشعور ولا تقيم"[(١)]، ومن ثم لا تتوقف مهمة الشاعر عند اختيار الكلمات وترتيب العبارات بما يؤدي فكرته ويتناسب مع الوزن الشعري وفقط، بل تتخطاه إلى مراعاة الإيقاع الموسيقى للكلمات والعبارات، "فالمعنى لا يتحول من نثري محدد إلى شعري مطلق إلا من خلال اشتغال بنية إيقاعية، تسهم في إحداث هذا التحول الخطير في شكل اللغة وطاقاتها الدلالية، وصولًا إلى التعبير عن الظلال الوجدانية للدلالات"[(٢)].

(١) مجلة الرسالة، علي محمود طه شاعر الأداء النفسي، أنور المعداوي، القاهرة، ع٨٥٩، ٢٨ من شهر صفر سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩ ديسمبر ١٩٤٩م، صـ١٧٢٦.

(٢) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، د/ محمد صابر عبيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠١م، صـ٨،٩.

لقد استطاع شاعرنا أن يحلق في سماء النغم الموسيقي، فانتقى ألفاظه وبنى عباراته بما تطرب له الأذن لحنًا شجيًا، ويبعث في النفس نشوة وفي الوجدان هزة، وفيما يأتي محاولة للكشف عن أبرز أساليب تلك الموسيقى في شعره وخصائصها الإيقاعية.

١ – التصريع

ويقصد به متابعة العروض للضرب في البيت الأول من القصيدة زيادة ونقصانًا، وقد اهتم الشعراء منذ القدم بتوشية قصائدهم بهذه الظاهرة الصوتية؛ لإيمانهم بدورها في تكثيف الإيقاع، وما تضفيه من موسيقى تطرب لها الآذان، وقد ألح بعض النقاد على ضرورة الحفاظ علي التصريع والابتداء به، "فإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور[١] الداخل من غير باب"[٢].

وقد حافظ شاعرنا على التصريع في جميع قصائده عدا سبع قصائد[٣] وبضع مقطعات شعرية لا تجاوز البيتين والثلاثة، ومن أمثلته قوله (الطويل)[٤]:

أَرَاهُ الهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ وَأَقْلَقَهُ عَنْ صَبرِهِ وَاحْتِسَابِهِ

حيث جاءت كلمة (حسابه) في نهاية المصراع الأول، وكلمة (احتسابه) في نهاية المصراع الثاني، وهما مشتركان في الاشتقاق والوزن والقافية وحركة الإعراب، وما بينهما من جناس يبعث نغمًا شجيًا يلعب بالفؤاد ويعانق القلب ويهز المشاعر، ولا يمنع انبعاث هذا النغم اختلاف معناهما.

---

(١) المتسلق.

(٢) العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ج١، صـ١٧٧.

(٣) ينظر: الديوان، صـ٢١٢– ٢١٣، صـ٢٤٧– ٢٥١، صـ٢٩٠– ٢٩١، صـ٣٩١– ٣٩٣، صـ٣٩٣– ٣٩٥، صـ٥٠٥– ٥١٠، صـ٥١٠– ٥١١.

(٤) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٤٥٣.

ومنه أيضًا قوله (الطويل)[١]:

أَفِـي كُـلِّ دَارٍ لِـي عَـدُوٌّ أُصَـاوِلُهْ؟ وَخَصْـمٌ عَلَـى طُـولِ اللَيَـالِي أُزَاوِلُـهْ؟

فالكلمتان (أصاوله، أزاوله) يقعان في آخر الصدر وآخر العجز على الترتيب، وهما علي وزن (مفاعل) التي هي ضرب الطويل وعروضه المقبوضان في هذا البيت، وهما فعلان مضارعان مرفوعان بالضمة الظاهرة، وقد اتصل كل فعل منهما بهاء الضمير الساكنة، ويزيد في الرباط بينهما الجناس شبه التام، حيث اشتركا في خمسة حروف واختلفا في حرف واحد، مما يثير في النفس ألحانًا شادية تفعل فعل السحر في نفوس السامعين والقارئين.

٢ – التدوير

ويعنى به اشتراك شطرا البيت في كلمة واحدة وذلك بأن يكون بعض الكلمة في الشطر الأول وبعضها الآخر في الشطر الثاني، ولم يعمد إليه الشعراء عبثًا ولا استعراضًا، إنما لنكتة فنية ولطيفة إيقاعية، "وذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمده ويطيل نغماته"[٢].

وقد عمد شاعرنا إلى تلك التقنية الإيقاعية، ولنها وردت قليلة في أشعاره، حيث وردت فيما لا يزيد عن (١٠٠ بيت) [٣]، مع الأخذ في الاعتبار أن أبيات الديوان (٥٢٦٢ بيتًا)، ومن ثم فنسبة الأبيات المدورة لا تجاوز ٢% من أشعاره،

---

(١) السابق، ج٣، صـ١٣٧٤.

(٢) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ط٢، ١٩٦٥م، صـ٩١.

(٣) ينظر: الديوان، صـ٣٤، صـ٣٩، صـ٧٨، صـ٨٠، صـ٩٤، صـ١١٦، صـ١٢٧، صـ١٦٢، صـ١٧٣، صـ١٨٥، صـ١٩١–١٩٦، صـ٢١٠، صـ٢١٤، صـ٢٢٠، صـ٢٢٥، صـ٣١٨، صـ٣٣٠، صـ٤٠٧، صـ٤٤٤، صـ٥٧٦، صـ٦٥٤.... وغيرها.

لكنها لم ترد عفو الخاطر ولا اضطرارًا، إنما عمد إليها لإبراز قيمة فنية وجمالية مقصودة، ومن نماذج التدوير في شعره قوله (الخفيف)(١):

وَلَـكَ النَّـاسُ، وَالـبِلادُ، وَمَـنْ جَـا دَ وَأَكْـدَى مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ فِـدَاءُ
يَـا سَمِيَّ الخلَيلِ يَـا تَـاجَ دِينِ اللـ ـهِ يَـا مَـنْ بِـهِ يَـزِينُ الثَّنَـاءُ
صِـحَّةُ الـدَّهْرِ أَنْ تَصُـحَّ فَـلاْ صَحْـ ـحَتْ لِشَـانِيكَ – مَـا بَقَـى– الأَعْضَـاءُ
وَبَقَـاءُ الـدُّنْيَا بَقَـاؤُكَ لَا طَـا لَ لِمَـنْ يَشْـتَهِي رَدَاكَ بَقَـاءُ
مُـذْ تَشَـكَّيتَ فَالْمكَـارِمُ وَالآ مَـالُ تَشْـكُو، وَالمَجْـدُ وَالعَلْيَـاءُ
وَعَلَـى الأَرْضِ وَالفَضَـاءِ أَمَـارَا تُ اكْتِئَـابٍ وَظُلْمَـةٌ طَخْيَـاءُ
ثُـمَّ لَمَّـا عُوفِيـتَ أَشْـرَقَتِ الأَرْ ضُ بِنُـورٍ لِضَـوئِهِ لَأْلَاءُ
وتَنَـادَى بَنُـو السُّـرَى وَذَوُو الآ مَـالِ: هُبُّـوا قَـدْ زَالَـتِ الـلأْوَاءُ

حيث هيمن التدوير على أغلب أبيات القصيدة، مما ساعد على منح النص سمة الاسترسال والامتداد لعدم توافر الوقفة المتجانسة وتمدد الكلمة للشطر الثاني، مما يؤجل موسيقاها، ويفتت وقعها النغمي، بالإضافة إلى التوافق بين الامتداد في نهاية الشطر الأول والهمزة الممدودة في نهاية الشطر الثاني، مع ما في القصيدة من سرد تتابعي وتوالي للأفعال والأحداث مما لا يناسبه التقسيم الموسيقي النمطي التقليدي.

٣– الترصيع

وهو تقسيم الشاعر البيت الشعري إلى أجزاء تتفق في الوزن وحروف الروي على نحو مسجوع أو شبيه بالمسجوع، وعلى ذلك فالترصيع شأنه شأن باقي مظاهر البديع إذ كثر قبح ودل على التكلف، وقد وقع الترصيع في أشعار

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج١، صـ٨٩– ٩١.

شاعرنا بقدر ليس بالقليل، مما يسبغ عليه سمة موسيقية لها وقع في الأذن وأثر في النفس، ومن نماذجه قوله (البسيط)[1]:

مَحْضُ الضَّـرِيبَةِ مَيمُـونُ النَّقِيبَـةِ طَعْـ ـــعَانُ الكَتِيبَـــةِ لَا غَمْـــرٌ وَلَا وَكِـــلُ

كَهْـلُ الشَّـبِيبَةِ، نَهَّـابُ الحَرِيبَـةِ وَهْـ ـهَابُ الرَّغِيبَـةِ هَشٌّ بِالنَّـدَى عَجِـلُ

مَاضِـي العَزِيمَـةِ عَيَّـافُ الغَنِيمَـةِ تَـرْ رَاكُ الجَرِيمَـةِ نِكْـلٌ لِلْعِـدَى نَكِـلُ

حيث نلاحظ الازدواج الإيقاعي بين (محض الضريبة)، (ميمون النقيبة)، (طعان الكتيبة)في البيت الأول، وبين (كهل الشبيبة)، (نهاب الحريبة)، (وهاب الرغيبة) في البيت الثاني، وبين (ماضي العزيمة)، (عياف الغنيمة)، (تراك الجريمة) في البيت الثالث، بل تعدى الأمر إلى اتفاقها جميعًا في الوزن والتقفية، ثم نلاحظ الاتفاق الموسيقي بين (لا غمر ولا وكل)، (هش بالندى عجل)، (نكل للعدى نكل) في نهاية الأبيات الثلاثة، كما نلاحظ أن الأبيات من بحر البسيط وقد اتفقت تمامًا في حركاتها وسكناتها، مما يمنح الفضاء الشعري صعودًا وهبوطًا متماثلين، فتنسجم الدُّفقة الإيقاعية والنغمة الموسيقية مع نفس من ينشدها، وأذن من يسمعها.

إن تجزئة البيت على نحو ما مضى هو ترصيع له قيمة إيقاعية داخل مساحة البيت الشعري، هذه التجزئة تجعل الإيقاع الداخلي للبيت بطيئًا، مما يتيح للقارئ أو السامع بوقفة قصيرة بعد كل جزء ليتذوقه ويستجلي معنى الخطاب.

ولا تتوقف الموسيقى الداخلية في شعر شاعرنا على ما ذكرنا وفقط، بل تتعداه إلى استخدام الكثير من التقنيات الإيقاعية، مثل: التصدير والتوشيح والترديد والتجنيس... وغيرها، ولولا خشية الإطالة لفصلت الكلام فيها تفصيلًا.

(١) شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، ج٣، صـ١٦٦٢- ١٦٦٤.

ب: الموسيقى الخارجية

وهي المتولدة من الأوزان والقوافي، وهي العنوان الأول للموسيقى الشعرية ولا شعر بدونها، فإذا كانت الموسيقى الداخلية تخاطب الوجدان فإن الموسيقى الخارجية تخاطب السمع وحده دون أن تتسلل إلى تلك القوى الخفية المتناثرة في آفاق الشعور.

أما الوزن فهو الوسيلة التي تجعل اللغة نظمًا شعريًا، ويمثل البنية الأساسية والمظهر الرئيس في موسيقى الشعر، حيث يتم ترتيب الكلمات وفق وحدات نغمية مكررة، عن طريق توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم، ويرد الوزن من خلال بحر من ستة عشر بحر مشهورة معروفة.

لم يخرج شعر ابن المقرب عن هذه البحور ولا تلك الأوزان ، وذلك في أحد عشر وزنًا منها لكن بنسب متفاوتة، وفيما يأتي إحصائية[١] بعدد قصائد وأبيات كل بحر مع ذكر النسبة المئوية لكل بحر في ديوانه الشعري.

الوزن	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة %
الطويل	٤٦	٢٥٥٩	% ٤٨.٦
البسيط	٢٠	١١٠٣	% ٢١
الكامل	١٦	٨٩٩	% ١٧
الوافر	٧	٣٣٣	% ٦.٣
الخفيف	٢	٧٢	% ١.٤

(١) وقفت على بحث علمي منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بعنوان (الموسيقى الخارجية عند ابن المقرب العيوني)، للباحث/ أحمد سمير عبد الكريم محمد، عـ٣٥، ج٢، صـ١١– ٤٤، وقد قام الباحث بإعداد إحصائية للأوزان في الديوان، لكني وجدت فيها خلطًا واضطرابًا فوجب التنويه، على أن البحث في مجمله جيد يستحق المطالعة والقراءة، وقد بذل الباحث فيه جهدًا يستحق أن يشكر عليه وإن وقع في بعض الهنات، فتلك طبيعة بشرية وجبلة إنسانية.

السريع	**٢**	**٦٠**	**% ١.١**
الرجز	**١**	**٧٦**	**% ١.٥**
الرمل	**١**	**٥٧**	**% ١.١**
المتدارك	**١**	**٥٢**	**% ١**
المتقارب	**١**	**١٠**	**% ٠.٢**
مخلع البسيط	**١**	**٤١**	**% ٠.٨**
المجموع	**٩٨**	**٥٢٦٢**	**% ١٠٠**

ويلاحظ من خلال الجدول السابق أن ابن لمقرب نظم غالب شعره على بحور (الطويل، البسيط، الكامل، الوافر)، وهذه البحور هي التي نظم عليها القدماء غالب أشعارهم، ومن ثم فهو تقليد لهم ونظم على منوالهم، بالإضافة إلى أن شعر شاعرنا ذاتي يعبر فيه عن ذاته ويحكي عن نفسه، ومن ثم ناسبه أوزان البحور الطويلة ذات التفعيلات الكثيرة، والغنية بالمقاطع التي تكون سلَّمًا يسيرًا له كي ينقل للمتلقين ما شهده من أحداث، ووقائع وقصص، أو يجول في خاطره من تجربة شعورية ذات أثر كبير، وأحداث متتابعة.

وأما القافية فهي تمثل إحدى الأدوات الفنية ذات الأثر الفعال في القصيدة العربية فهي علامة نهاية البيت يقف عندها المتلقي فيتمثل البيت كاملًا، وهي ضربة إيقاعية تتردد على مسافات متساوية في القصيدة؛ لذلك حظيت القافية باهتمام كبير في لدى النقاد والدارسين، لما لها من أهمية في بناء البيت الشعري، فهي تعد ركنًا مهمًا من أركان الموسيقى وصاحبة الحظوة في إيصال النص إلى نسق نغمي راق، فهي شريكة الوزن من حيث اختصاصهما بالشعر. [١]

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ج١، صـ١٥١.

وترتكز القافية بشكل رئيس على حرف الروي، وهو جزء منها لا ينفك عنها، حيث يتكرر في نهاية كل بيت بحركته من أول القصيدة إلى آخرها، فعليه تبنى القصيدة وإليه تنتسب، فيقال همزية أو سينية أو نونية... وهكذا.

وفيما يلي إحصائيتين: الأولى عن حروف الروي التي نظم شاعرنا عليها قوافيه، وعدد قصائد وأبيات كل حرف ونسبته المئوية، والأخرى عن حركة حرف الروي وعدد قصائد وأبيات كل حركة ونسبتها المئوية.

إحصائية حروف الروي:

حرف الروي	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوية %
الهمزة	٣	١٢٠	% ٢.٤
الباء	١١	٦٧٢	% ١٢.٩
التاء	١	٨٧	% ١.٧
الثاء	١	٣٥	% ٠.٧
الحاء	٢	٨٢	% ١.٦
الدال	٩	٥٣٨	% ١٠
الذال	١	٢	% ٠.١
الراء	١٠	٤٠١	% ٧.٦
السين	١	٢٧	% ٠.٥
العين	٥	٢٥٩	% ٤.٩
الفاء	٢	٧٤	% ١.٤
القاف	١	٩٢	% ١.٧
الكاف	١	٧٠	% ١.٣
اللام	١٩	١٠٨٣	% ٢٠.٦
الميم	٢١	١٠٥٢	% ٢٠
النون	٧	٤٨٧	% ٩.٣
الهاء	٢	١١٢	% ٢.١
الياء	١	٦٠	% ١.٢
المجموع	٩٨	٥٢٦٢	% ١٠٠

إحصائية حركة حرف الروي:

حركة حرف الروي	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوية %
الكسرة	٣٨	٢١٥٠	% ٤٠.٩
الضمة	٣٩	١٨٨٥	% ٣٥.٩
الفتحة	١٩	١١٦٧	% ٢٢.١
السكون	٢	٦٠	% ١.١
المجموع	٩٨	٥٢٦٢	% ١٠٠

وبعد تأمل هاتين الإحصائيتين يمكننا استنتاج أن شاعرنا أكثر من نظم قصائده على حروف (الميم، اللام، الباء، الراء، الدال، النون، العين) وكلها حروف جهرية، تتميز بأصواتها الطويلة ووضوحها السمعي، وربما يكون لطبيعة المضمون الذي يغلب على شعره علاقة ما بتغليب اختيار حروف الروي المجهورة، حيث ترسم بإيقاعها الواضح أجواء تواكب معنى القوة والشجاعة والكرم والمجد والمثالية التي يحاول شاعرنا أن يثبتها في كل قصيدة يفخر فيها بنفسه وقومه.

كما غلب في نظم شاعرنا القافية المطلقة (المتحركة الروي) مقارنة بالقافية المقيدة (الساكنة الروي)، وهذا يعود إلى موسيقى القافية المقيدة وطبيعتها فهي قليلة الشيوع في عموم الشعر العربي، حيث لا تجاوز ١٠% من الشعر العربي ، أما الروي المتحرك فهو الكثير الشائع في الشعر العربي[١]، فلعله سار في رحابهم ونظم على طريقتهم تقليدًا واتباعًا.

ومما نلاحظ أيضًا شيوع حركتي الكسر والضم على بقية حروف الروي، ومجيئهما بنسبة متقاربة، ولعل ذلك لاختلاط الحزن والانكسار الذي تمثله الكسرة

(١) ينظر: موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، صـ٢٥٨.

لانكسار الفك السفلي عند النطق بها، بالأنفة والكبرياء الذي تمثله الضمة بملئها للفم عند النطق بها.

وتأسيسًا على ما سبق فقد تميز شعر ابن المقرب العيوني بسمات وخصائص فنية كثيرة، منها: البناء العام للقصائد التي ساير بها القدماء حيث قسم قصائده في الغالب إلى: مقدمة وموضوع وخاتمة، ومنها: البناء اللغوي حيث تميزت ألفاظه بحسن الاختيار، وأساليبه بجودة الصياغة والتركيب، ومنها البناء الموسيقي حيث نظم على بحور الشعر العمودي المشهورة، بما يتناسب ويتناغم مع أغراضه الشعرية، منتقيًا قوافيه بما غلب على النظم العربي، وقد استعان ببعض التقنيات الموسيقية التي تبعث إيقاعًا نغميًا في الأذن يجلب راحة في النفس، ومن ثم يمكننا القول بأن ابن المقرب كان شاعرًا مجيدًا بذَّ أقرانه وتفوق عليهم، فاستطاع أن يرتقى بأشعاره في عوالم من الجمال والبهاء مع حلاوتها وطلاوتها.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، فبعد الانتهاء من تلك الرحلة الماتعة في نتاج ابن المقرب العيوني، أستطيع أن أقرر مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي.

- الاعتداد بالنفس سمة بارزة في غالب أشعار ابن المقرب.
- الاعتداد بالنفس عند ابن المقرب كان له أسباب ودوافع، ولم يكن نتيجة كبر وغرور.
- تنوعت مضامين الاعتداد بالنفس عند ابن المقرب، حيث اعتد بشجاعته وشاعريته وحسبه وحسن خلقه وغيرها.
- سار ابن المقرب على نهج القدماء في أشعاره عامة، واعتداده بذاته خاصة، من حيث المعاني والبناء الفني،
- استعان ابن المقرب بظواهر إيقاعية داخلية كثيرة، منها: التصريع والتدوير والترصيع.
- حافظ ابن المقرب على صياغة أشعاره وفق بحور الشعر العمودي بأوزانه وقوافيه بما يتماشى مع أفكاره ومعانيه.

وإن كان ثمة توصيات فهي تتعلق بضرورة كتابة المزيد من الأبحاث والدراسات التي تعنى بظاهرة الاعتداد بالنفس نظرًا لكثرة شعرائها على مر العصور،كذلك أوصي إخواني الباحثين بضرورة النظر في إبداع ابن المقرب لاشتماله على العديد من الظواهر التي تحتاج إلى دراسة كدراسة تأثره بالمتنبي، والحكم والأمثال في شعره.... وغيرها.

وأخيرًا فلا يسعني إلا أن أقر بأن هذا العمل عبارة عن محاولة بحثية يسيرة، ولا أدعي أنه قد غطى كل ما يتعلق بموضوع البحث، كونه عملًا بشريًا يشوبه التقصير ويعتريه النقص مهما حاول صاحبه الإتقان والضبط، لكن أتمنى أن يكون قد سد ثلمة في المكتبة الأدبية، وأسهم ولو بقدر بسيط في فتح الباب أمام دراسات أخرى أكثر عمقًا وإلمامًا بهذا الموضوع.

المصادر والمراجع

- ابن مقرب العيوني حياته وشعره، فهد بن عوض بن وريده، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٣/١٩٧٤م.
- ابن مقرب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية حياته وشعره، سامي جاسم عبد العزيز المناعي، مكتبة لسان العرب، ط١، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ .
- ابن مقرب حياته وشعره، عمران بن محمد العمران، مطابع الرياض، بدون.
- الإنسان في الشعر الجاهلي، د/ عبد الغني أحمد زيتوني، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د/ أحمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط٢، بدون.
- ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، تحقيق: د/ أحمد موسى الخطيب، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، المملكة العربية السعودية، بدون، ٢٠٠٢م.
- ديوان ابن المقرب، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- شرح ديوان ابن المقرب، عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ .
- شعر الحرب في العصر الجاهلي، د/ علي الجندي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٦٦م.
- علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، د/ علي بن عبد العزيز الخضيري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي بن الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، شوال ١٣٧٤هـ/ يونيه ١٩٥٥م.
- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكنب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ .
- الفن والأدب: بحث جمالي في الأنواع الأدبية والفنية، د/ ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨١م.
- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، د/ محمد صابر عبيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠١م.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ط٢، ١٩٦٥م.
- مجلة الرسالة، علي محمود طه شاعر الأداء النفسي، أنور المعداوي، القاهرة، ع٨٥٩، ٢٨ من شهر صفر سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩ ديسمبر ١٩٤٩م.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الموسيقى الخارجية عند ابن المقرب العيوني، للباحث/ أحمد سمير عبد الكريم محمد، مصر، عـ٣٥، ج٢.
- مجلة مركز دراسات الكوفة، العراق، الذات المفتخرة في جمهرة أشعار العرب، د/ عبد الإله عبد الوهاب العرداوي و فاطمة محمد أحمد، عـ٥٢، ٣١ مارس ٢٠١٩م.
- مجلة: سياقات اللغة والدراسات البينية، اللغة الشعرية بين آليات التشكيل وطرائق التعبير، د/ عبد الخالق بوراس، جامعة الإسكندرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ع٣، ديسمبر ٢٠١٩م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون، ١٩٧٧م/ ١٣٩٧هـ، صـ١١٢.

- مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م.
- موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢م.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢١٥
تمهيد: ابن المقرَّب وبواعث اعتداده بنفسه	٢١٨
أولًا: ابن المقرب... الأمير الطريد	٢١٨
ثانيًا: أسباب اعتداده بنفسه وقومه	٢٢١
المبحث الأول: الاعتداد بالشجاعة	٢٢٤
المبحث الثاني : الاعتداد بالنسب	٢٣٤
المبحث الثالث : الاعتداد بالشاعرية	٢٤٣
المبحث الرابع: الاعتداد بالأخلاق الكريمة	٢٥٣
المبحث الخامس خصائص وسمات فنية	٢٦٢
الخاتمة	٢٨٥
المصادر والمراجع	٢٨٦
فهرست الموضوعات	٢٨٩